

عزيزي القارئ

مساحة للعقل ..

مساحة للكلمة .. مساحة للجمال ..

نطلّ عليك في هذا العدد الجديد لنصافحك من جديد .  
ندخل باب بيتك ندعوك إلى جرعة ثقافية تشعّ في مكتبك  
الدّف، وتبعث فيك الأسئلة وتأخذك بعيدا عن القلق والأزمات  
الحانقة إلى واحات الشّساع والأمل والودّ، لأنّنا نؤمن ونؤمن  
معنا بأنّ في وطننا العربيّ الكبير قوى لاتؤمن بالعجز  
والخيبة ، قوى كامنّة، عظيمة وهائلة إذا ما انخرطت في  
الواقع وأمنت بهنّوم مستجهر على حيرتنا العقلية  
ومخرج الملايين من طور اليأس والعطالة إلى دنيا الأمل ..  
أما المعجزة الإقتصادية فهي ليست من المستحيل  
تحقيقها إذا ما ابتعدنا عن الخرافة والقوى الوهمية  
والدّجل والخداع ..

إنّ النموّ الذي تحقّق ويتحقّق في أكثر من قطر عربي ،  
وأبرزها النموذج التونسي ليس وليد الصدفة بل هو وليد  
حكمة وفقّت إلى حدّ كبير في التخطيط لمعضلاتي  
الديمقراطية والتنمية ..

ودون الخوض في مصطلحات الإقتصاديين كـ "إجمالي  
النّاتج الوطني" و"معدّل دخل الفرد" و"الصّادات السلعية"  
والخدمية المنظورة وغير المنظورة" و"ارتفاع معدّل  
الإستثمار" .. فأنّني قد لا أثق تماما بها في حالتها

وانفصالها بالخطاب السياسي لقطر ما إذا ما أقمنا حداً بينها وبين القوى الذهنية والاجتماعية لشعب ما.. فالمقدّرات الاقتصادية لا بدّ لها من ذهنية متطورة وعملية تؤمن دائماً بالتحديّ وتدخّل جوهر الصّراع بثقّة متنامية ورغبة جامحة في التحرّر من القيود في نظام اقتصادي عالمي وحيد القطب ..

عزيزي القارئ أو بالأحرى أيّها القارئ العزيز لا نريد أن نزعجك بالركن العربي وصداق العقول والحديث عن المعجزات التي انتهت الحديث عنها ولا عن الثروات الأرضية التي كثيراً ما بدّدها أصحابها في توجّهات مشبوهة وخيارات خيالية مجنونة ، ولكننا إلى جانب ذلك نريد أن نقدّم لك مواضيع جديدة في مجالات الفنون والتّضال الإنساني فستجد في هذا العدد قولاً مفيداً عن الشّاعر التركي الكبير ناظم حكمت . ونعديك في أعدادنا القادمة بتقديم ملفّ حول الشّاعرين العربيين الكبيرين بدر شاكر السياب وأمل دنقل ..

وفي انتظار مساحة أخرى للروح نقدّم لك هذا المقطع من قصيدة للشّاعر ناظم حكمت :

« نعرف كيف نعيش معا

وكيف نعيش معا ؟

وكيف نموت معا ؟

كلّنا من أجل واحد منا

وأحدنا من أجلنا جميعاً » .

محمد العياشي طاع الله

# حادثة ابن أبي الضياف

بقلم : صلاح الدين بوجاه

تعددت تعريفات الحادثة وتنوعت ، غير أنني أظل أميلُ إلى التعريف القائل "إنَّ الحادثة هي الوعي بالزَّمن " ، الزَّمن في تحوُّله وتبدُّله . فتكون الحادثة . على هذه الهيئة خروجاً من المطلق الدائري إلى الزَّمن القائم على التتالي والتراكم .

وكان التمثُّل الدائري للزَّمن إيقاعاً ثابتاً في الفكر الإنساني القديم استغرق كتب التاريخ والفلسفة والحضارة ... تختزله العبارة التوراتية "لا جديد تحت الشمس " ، أمَّا التمثُّل القائم على التتالي والتراكم . فقد انبثق من رماد القرون الوسطى معلناً عن ولادة الأزمنة الحديثة .

ضمن هذا السياق السَّياق "الاحتاف" ، بأجزائه جميعها ، من مقدِّمات تاريخ ومتون وهاجس ، من أنموذج إجرائي منبثق من هذا التمثُّل الجديد للزَّمن .

ولعلَّ أهميَّة الحركة الإصلاحية في بلادنا تكمن في تهشيم بنية الزَّمن المغلق ، التي تتكرَّر لحظاتها ولا تتجدَّد ، وترسيخ بنية جديدة للزَّمن فيها اللحظات تتغير ولا تتشابه ، تتضايِف ولا تتنافر .

على هذه الشَّكلة تفهم حادثة ابن أبي الضياف التي وُصِلت بالعصر وشائج سَتَى حتَّى باتت عنصراً مكيِّناً من عناصر ثقافتنا الراكنة . وكان ابن أبي الضياف من أوَّل من يسَّر لنا أن نظفر بالحركة ، حركة التَّاريخ والمجتمعات من خلال سكون الظَّاهر وركوده .

وربَّما يكون نص ابن أبي الضياف قد هيأَ لنا الكثير من عناصر الدَّرية والمران

التي مكنتنا من وعي اللحظة الراهنة المنظورة على اشكالات كبرى جديدة ، من قبيل : العولمة / الديمقراطية ونظم الحكم الجديدة / الذاتي والكوني / هدف التاريخ ونهايته ...

وقد تبدو هذه الإشكالات حديثة جداً ، خارج دائرة الوعي الإصلاحي ، لكننا رغم أن منابنا الأولى كانت قد احتضنتها كتب الإصلاح ، وبالحصوص كتاب "أقوم المسالك" وكتاب "الإتحاف" .

ألم يُعلن خير الدّين عن العالم وقد تحوّل إلى "بلدة متّحدة" ؟ ألم يبشّر ابن أبي الضيّاف بملك جديد (في مفهوم الحكم ) يستمدّ من القانون الوضعي شرعيّته؟ ألم يُعلنّا عن تفجّر الهوية الثّابتة وتشظّيها ويُقرّ أنّ التّاريخ جماع التّجربة الإنسانية ، على اختلاف حضاراتها وثقافاتهما .

بعبارة واحدة يمكن القول : إنّ إنجازات الحركة الإصلاحيّة قد مكنت الفكر العربي من اقتحام مذاهب الحداثة واستيطان أسئلتها الكبرى .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ولا يمكن أن نستوعب آراء ابن أبي الضيّاف ومواقفه إلّا إن نزلناها في سياقها التّاريخي والمعرفي فلقد فوّضت المؤسسات الليبراليّة الحدود الفاصلة بين الثقافات والدّول تستند لها منجزات الثّورة الصناعيّة التي التهمت الأزمنة والأمكنة في آن .

وإنّه لأمر ذو دلالة أن يظهر هذا الفكر الإصلاحي في تونس بعد أن استتبّت عناصر الثورة الصناعيّة الأولى ... وقبل خمسين سنة تقريبا من حديث هامّين .  
أ - الحرب الكونيّة الأولى ، التي أعلنت عن أول ما زقّ حاد قرّبه الممارسة الليبراليّة .

ب - الثورة الاشتراكيّة ، التي كانت شاهدا على المأزق الليبرالي في مرحلته الأولى ، حيث عمدت إلى الأخذ بالفكر الاشتراكي في مختلف تجلّياته (ومن أهمّها الماركسيّة التي كانت سلبية التمثيل الهيجلي العام للتّاريخ والمجتمع

والإنسان ] .

ولعلّ مزّة ابن أبي الضياف ههنا أنّه أدرج التّاريخ التّونسيّ - فكرا وممارسة - ضمن مسار التّاريخ الإنسانيّ ، فقارن واستنتج وقايّس واستخلص ، وتعضده في ذلك مشاهداته للمالك الأوروبيّة وطوافه فيها ، واستصفى من كلّ ذلك حقيقة مفادها أنّ مستقبل البلاد التّونسيّة لا يتأسّس عبر استرجاع الماضي وإنّما عبر استرفاد الحاضر ، الحاضر الأوروبيّ على وجه الخصوص .

وهلّ تُجاوز إذا قلنا إنّ الرّجل قد تفتّن إلى بعض تناقضات الفكر الليبرالي فنقد العديد من سماته مثل المغالاة في الحجريّة غير المشروطة وجعل قضيّة السّلطان شأنًا عامّا . لكنّه كان يعتمد في ذلك إلى سدّ فجوات هذا الفكر بالمستندات التّراثيّة .

هكذا ظلّ ابن أبي الضياف يراوح بين قطبين اثنين : التراث والفكر الغربي المعاصر ... حتّى باتا مرآتين متناظرتين تعكّس إحداهما الأخرى ... فلا يؤول أمرهما إلى تناقض أو تنافر ، وإنّما إلى تواشج وتزاوج ، حتّى لكأنّ التّراث أصبح جزءا من الفكر الحديث ! حتّى لكأنّ الفكر الحديث أصبح جزءا من التّراث . أفلا يكون هذا الجهد جميعه قد اطلق من بؤرة واحدة : تطويع الفكر لمعاذرة الواقع المتحوّل ؟

لقد كان ابن أبي الضياف ، خلال عدّة عقود ، عنصرا بارزا من عناصر النّخبّة الحاكمة : عاشر عديد البايات ، وأشرف على ديوان القلم ، وأدّى سفارات شتى ، بحيث لم يكن تفكيره مجردا محضا بل كان في تفاعل دائم مع مجريات الأمور .

في هذا تكمن طرافة الفكر الضيّافي الذي جعل من الإجراء السّياسي منطلق الفكر الإصلاحّي ومرجعه الأخير ... به يستدلّ وعليه يعوّل كلّما صاغ قانونا أو أعلن مبدأ .

ففي عصر كان فيه الفقهاء يكرهون الواقع على الخضوع للفكر ... نجد ابن أبي الضياف يستدرج الفكر للخضوع لمنطق الواقع المتحوّل دائما المتغيّر أبدا . بسبب من هذا تيسّر للحركات الوطنسيّة على اختلاف مراحلها ومشارب

زعمائها ، أن تأخذ به فتحاوره وتستضيء باختياراته الكبرى . فتناسل نصّه (وهو نتاج خبرته الثقافية وتجربته السياسية ) في برامج الحركات السياسية التي تلتها ، مثل حركة الشباب التونسي والحزب القديم ، والحزب الجديد ... واستمرت تقدّمنا . في عهدنا الجديد . بعناصر الحوار والمصالحة .

لقد ظلّ هذا النصّ . على تقادم عهده . يرفد ممارسنا الوطنية التي تشدّ حاضرا إلى منابع الإصلاح الأولى . ويمكن أن نخترل التجربة الضيافية . اختزالا دالّا . في عناصر ثلاثة كبرى لبثت نابضة بالحياة .

أ - الموقف من التّراث : وهو الذي عدّ التّراث ذاكرة الوطن الذّاهية بعيدا في الزّمن ، وانتبه إلى أنّ التّراث قابل للتّطور والتّغيير ... بل ربّما انتخب كلّ عنصر تراثه وخلع عليه المعنى الذي يريد .

لهذا بدا التّراث في هذه التّجربة صنو الحداثة لا نقيضها ، بقول العصر ويوح بأسراره التي يزكّيها الواقع .  
ب - الموقف من الآخر : يبدأ " الآخر " قبل حركات الإصلاح غريبا عن الذات مغابرا لها ، فهو الخصم والعدو الذي لا تستقيم هويتنا إلّا بنفيه وإلغائه .

وتأتي حركة الإصلاح لتقدّم تعريفا جديدا للذات والآخر ، مؤكّدة عناصر الإلتلاف والتّكامل بينهما معرّضة عن عناصر الاختلاف .

وفي هذا منعطف صريح يؤرّخ لدخول بلادنا إلى العصور الحديثة ، وبذلك أضحى الآخر المختلف جزءا من الهوية ومقوماً من مقوماتها الأولى ، حتّى لكانّ العالم بذلك أصبح ينشد هويّة مشتركة هي جماع كلّ الهويّات الصغرى !

ج - الموقف من الواقع : وإنّا لنولي هذا العنصر عناية خاصّة لأنّ الواقع - فيما نرى هو الذي أذكى جذوة الفكر ، وأملى عليه قوانينه الكبرى . فابن أبي الضيّاف لا

يتحرك (كسالفه) في مطلق الفكر ، إنما يتحرك في محدود الواقع !

وإننا لنذهب اليوم إلى التأكيد أن مكانة كتاب الإنحاف لا تكمن في استيعاد إشكالات الفكر الإصلاحي بقدر ماتكمن في كونه رحما لتجارب وطنية لاحقة عضدت آراءه وأكّدت مواقفه ، وجعلته متجدداً ننعطف عليه بالنظر والتحليل .  
فالظاهرة الضيائية - من هذا المنظور - غير محدودة بزمن وقوعها أو عصر صاحبها ، إنما هي ظاهرة قد تخطت القرن التاسع عشر ، وعبرت العشرين ، لتفضي بتونس إلى منعطف آخر جديد .

وربما استدركنا ، في هذا السياق ، فقلنا إن الفكر السياسي اليوم قد أضحى يطرح أسئلة جديدة حارقة ولدتها التحولات العالمية الجديدة ، تلك التي يختزلها البعض في :

- 1 - استشرأ الحوسبة
- 2 - سلطان الدوائر المالية الكبرى ، وانتشار الأموال المقفلة .
- 3 - تبدل مفهوم الدولة ، وهو نتاج العنصرين السابقين

فكيف نقرأ اليوم ابن أبي الضياف على ضوء هذه المعطيات الجديدة ، وكيف نتناول مسائل من قبيل الديمقراطية ، والسلطة الوطنية ، ومفهوم الحكم والدولة ، وهذه المنظمات العالمية الكبرى (نظير الإنشاقية العالمية للتجارة) أو منظمة العفو الدولية / أو التكتلات الاقتصادية والسياسية وما شاكلها ) باتت تعبر الحدود وتفرض قوانينها على مسيرة التاريخ .

بالتماس إجابة أولى على هذا السؤال المضني نمكّن " الفكر الضيافي " من ارتياد آفاق جديدة هي آفاق الحداثة وما بعدها فننفخ فيه حياة جديدة ونمكّن الواقع الوطني من سند فكري جديد يستضيء به وهو يطرق أبواب القرن الحادي والعشرين .

# أبجدية الفلسفة

## أو وفاء للسؤال الفلسفي

بقلم : سمير جمل  
أستاذ فلسفة

{الآن} لنبدأ في الحديث عن أبجدية الفلسفة إذا جاز هذا القول . أليس لها سجلاً خاصاً وشخصيات مخصوصة ومناطق نفوذ ومواقع للتأرض والارتجال ؟ أليس لها زمانها الخاص ومفاهيمها المصوّرة والمساهمين على خطابها ؟ لقد دشنت الفلسفة عالمها الخاص منذ أحقاب مديدة ولكن لماذا ، سؤالها مازال لم يجد الإجابات التي تحتويه ؟ أهو إقرار بلا زمنيّتها وأحلامها ؟ أم هو سعي متجدّد للوعي بها كما تمثّلت نفسها وكما يمكن أن نتمثّلها ؟ كما كانت ، كما هي كائنة وكما ستكون ؟ عندما نسأل : ما الفلسفة ؟ فنحن نخاطب موضوعها ويكون السائل في الظل أو مجرد معبر عنها وعندما نتساءل ما التفلسف ؟ فنحن نعود بالسؤال إلى السائل وكأننا نحبي الدهشة القديمة التي أنجبت لنا الفلسفة لكي نحولها من الانكشاف على الموضوع وراثته إلى الاعتكاف على الذات وقضاياها فالفلسفة تبدأ بالسؤال وتبحث له عن مأوى ولكن بعد أن تطوف به أراضيه عدة بدءاً وعوداً من الإنسان إلى العالم ومن العالم إلى الإنسان عبر توسط الخطاب كحامل للوغوس . ولكنّه لوغوس مميّز وفريد ورحال دوماً . يجاور ويعايش ويصارع الآخرين ولكن قدره أن يبقى محايداً ومحافظاً على سماته غير



المحددة والقابلة دوماً للتحديد . عندما نطرح السؤال بدءاً بالفلسفة أو بأي قضية أو موضوع كان أو هو كائن أو سيكون فلسفياً حتى يغدو فعلاً فلسفياً فكيف نضمن فعلاً أنه سؤال فلسفي خصوصاً وأن حصر الفلسفة في سياق محدد سيفقدها "موضوعها" ومجالها المخصوص وغياب التحديد قد يؤدي إلى الرتبة أو تعثر الخطوة ؟ كيف نضمن أننا في الفلسفة وليس خارجها وأننا نطرح السؤال الخارق للعادة لكن ليس الذي يبدع المعجزات ولكن ذلك الذي يحطم معجزاتنا ويوقفنا على اللاوجهة واللازمن واللامحدود والعما ، والممكن وما يبدعه العقل بدون قوالب أو مواضيع مهيئة أو أسئلة محلولة أو أجوبة جاهزة .

لننتقل من صيغة السؤال من بنيته ، من غياب موضوعه ، من شكله ، من حيث طريقة طرحه ، من حيث ما يتضمنه من معاني بصرف النظر عن القضايا التي سيحيط بها ويمتلكها أو يصوغها أو "الحلول" أو المواقف التي ينتهي إليها . فلفعل طرح السؤال أهم لدينا من الإجابة نفسها التي تتغير بتغير الظروف والأفق الذي ننظر منه وفيه . إن طرح السؤال نفسه بشر من الأسئلة ما لا يمكننا دوماً وفي نفس الوقت الإجابة عليها أو حتى إثارة الأشكال حولها وعبرها ومن خلالها . إذ أن الموضوع الذي لم يحدد بعد ولم يتبين إمكانياته تحديده لا يمكن تحديده في الأول ولا في الأخير وإلا صادفنا على المطلوب وأصبح من قبيل التحصيل الحاصل . وبالتالي تفتقد مهمتنا أساس إمكاناتها .

لذلك عندما نطرح السؤال نتلهف ونشتاق إلى معانقة الموضوع الذي ينصب عليه اهتمامنا قصد إنقاذه من اللاوجود واللامعنى والمجهول وتحويله إلى واقع ، إلى أرض ، إلى مفهوم وإلى قرار يحط عنه تعب السفر والترحال . إننا نندفع بانفعالاتنا إلى الجواب إلى سراب الماء في الصحراء ولكن أولك صدمة لنا هي أن نعود على عقبينا لكي نفكر في أعماق أنفسنا عن "الدواء" و"الميناء" "لأن الإنسان مقياس كل شيء . ولأنه لا شيء في الأفق ولأنه لا شيء . إلا ما نبتكره من تلقاء أنفسنا ولكن بعد أن نغيب عن الوعي بالذات كواقع والموضوع كواقع والخطاب كواقع . عندما نسأل : ما الشيء ؟ أو ما هذا ... ؟ فأننا نطرح سؤالاً حول شيء .

محدد أو موضوع ما ولكن لا يمكن أن يقف الشيء في مستوى ما نقوله أو ما نعي به ونتمثله ونفكر فيه بل على امكانية انعكاسه وتمثله ، على إمكانيات رؤيته والتعبير عنه بالصُّور (الفن) أو بالكائنات المتعالية (الدين) أو بالنماذج الصُّورية - التجريبية ، الحسية المجردة (العلم) أو بالمفاهيم التي نبدعها والتي لا شكل لها .

- بل تقبل التشكُّل - ولا مضمون أو موضوع لها - بل تقبل التوضع والتأرض ولا زمن لها . بل تقبل التزمّن - ولا شخصية لها - بل تقبل من يضطلع بها ومن يكون صديقها أو عدوها من يدافع عنها أو من يرفضها - من يتحرك منها إليها أو منها خارجها وعودا إليها (تلك هي الفلسفة كما تدعى نفسها أو كما تدعى وكما تتدعى في الفكر الوجودان والعقل) .

لذلك يدعونا السُّؤال عن " هذا الذي نسأل عنه " سواء كان خطابا أو ممارسة ، سواء تعلق بقضايا الذات كآنا أو كآخر أو تعلق بقضايا الموضوع كطبيعة وكعالم أو تعلق الأمر بالعلاقة التي يمكن أن تكون بينهما مكانا وزمانا . سؤال عن هذا الذي يسأل من أي موقع يسأل وإلى من " أو ما " يتوجّه بالسُّؤال ؟ وضمن أية ظروف يسأل ؟ ومن يسائل وكيف يسأل ؟ وإلى من يتوجّه بالسُّؤال ؟ من الحاضرين في خطابه ومن هم الغائبون ؟ كيف يرسم السُّؤال ؟ وما هي المواقف والمواقع التي يمرّ عبرها ومن خلالها ؟ وما هي طبيعة خطابه هل يتلون بالسماوي أم بالأسود أم بالرّمادي ... ؟ ألسنا في حالة "مأدبة" رغبوية للألوان والأشكال والمفاهيم فكيف نغيّر وكيف يكون لنا العقل قسمة بيننا ولا نستخدمه بنفس الطريقة ؟ إنها الطريقة في إثبات الكوجيطو وتأريضه بل قل وترحاله وتحويماته .

لنترك كلّ ما نعرف عن الفلسفة ولنعد إلى السُّؤال وهو يحثك بالأرض ويصعد إلى السماء ثم يعود إليها . في غياب الزّمان والوعي به هل كان بالإمكان أن يطرح السُّؤال في غياب المكان والوعي به ؟ هل كان بالإمكان أن ينكشف السُّؤال ويمتدّ ويبحث له عن أرض تأويه أو تغيّبه ؟ في غياب السائل

المهموم والمنهمك والمندعش والباحث عن الحقيقة مهما كان مصيره . هل بالإمكان أن يكون السؤال وأن يجمع الزوج الغريب . الزمان / المكان ، الذات / الموضوع ، الإنسان والعالم ، الخطاب / الوجود ، العقل / الرغبة ، ما هو كائن / ما يجب أن يكون ؟؟؟ . قدر الإنسان إذن أن يطرح السؤال وأن يتحمل مسؤولية إيقاظ المارد الجبار من قمقه . قدر الإنسان أن يسأل حول نفسه وحول الآخرين وحول العالم . ومن العبث أن نسأل لماذا ؟ لأن الإنسان بلا سؤال يوقظه ويستهيوي ويحطم به " أسطورة الزمن " وينكشف به على الامتداد والمكان بحثا نتيجته في عالم مآله الفناء والموت . إنها رغبة الحياة والوعي بالحاضر الذي لن يدوم وبالماضي الذي فات والمستقبل الذي ننشده ونسعى لبلوغه والفناء فيه . وفي غياب هذا المعنى وهذا الاندفاع والشوق تنتحر اللذة ويسبى العقل ويؤول كل شيء ، إلى موضع ملقى في الطبيعة يحتاج إلى من يفهمه أو إلى من يفهم نفسه من خلاله وعبره . لذلك قدر "الفلسفة" أن تكون وليدة عصرها وأن تنهل من قضايا عصرها وأن تتحدث عنها سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، سواء ضمناً أو صراحة ، سواء عت أم لم تع ، سواء استخدمت الأتعة أو كشفت عن وجهها ، سواء بررت واكّدت وعقلنت ونفست وحللت أو شككت ونقدت واندهشت وحلمت أو بنت وهدمت ، أو ثارت وتجاوزت ~~إنها تظل~~ <sup>إنها تظل</sup> وفيية الحقيقة وتمثلها لا كما تعرض أمام أعيننا ونحس بها أو نصورها أو نجسدها بل كما نبنينا وتبدعها وفاء للعقل الذي صنع منا إنسانا .

لكن أن ننزك السؤال في أرضه وفضاءه وزمانه فهذا لا يعني أن نخترل خطابه في موضوع أو في زمان بعينه إن إمكانياته الدائمة وحرية المتجددة في الطيران والتخليق وكذا الاتعكاف على ذاته وإنشاء وجوده بين النهار الذي انقضى والليل الذي حلّ والفجر الذي يداهنا . هل يتعلق الأمر بأن نبني في مخيلتنا عالماً الخاص الغريب من نوعه ؟ هل يتعلق الأمر بأن تتنصل من السؤال والجواب ؟ هل يتعلق الأمر بأن نرفض فكرة الزمان ونستبدل الزمان الموضوعي بالزمان الذاتي لعلّ هذا لا يؤدي إلى القول بلامعنى وجودنا ووعينا واستمرارنا ! لكن أن يعي الإنسان بالزمان بالآتي والمنصرم والآتي هو أن يجتث السؤال من الالامعنى والأزمان لكي

يلتحق به سعيًا متجددًا لإحياء المعنى والتحقق والفعل الدائم ! لنغامر بطرح السؤال كلفنا ذلك ما كلفنا . لأن ما سنجنيه هو أكثر مما سنخسره أو على الأقل سوف لن نخسر شيئًا إذا فشلنا ولكنتنا سنجني الكثير إن انتصرنا . ذلك هو الرهان . وهو رهان يذكّرنا برهان باسكال . حول وجود الإله أو عدم وجوده ! لكن الأمر هنا مختلف تمامًا إذ لا يتعلق الأمر بالإنطلاق من شيء محدد أو قد وقع تحديده بعد ولكن من اللاتحديد إلى قابليّة ومحاولة . أو مغامرة التّحديد اعتمادًا على ما ننشئه من مفاهيم نبتكرها من عقلنا الذي يشرع بحثًا عن عقلنا الذي يلتزم بالتّشريع في زمكنيّة لا أفق نهائي لها .

لذلك عندما نطرح سؤالًا فلسفيًا غير محدد نهائيًا . حول موضوع ما ، أو قضية معينة فكلّ القضايا تتساوي ويمكن أن نبدأ بأيّ موضوع كان ولكنّ الطريقة التي نتناول بها ستكون مختلفة لأنّ الزّمان هو نفسه . محايث . ولكن المكان ليس بالضرورة هنا . فهو هناك الآن . إنّ الذات التي تطرح هي التي تستمرّ في إثبات وجودها . أمّا المكان فهو ما يحتاج إلى البناء والهيكلية . يبدأ بالذات وانفتاحا على الموضوع وعودا إلى الذات بما يفترضه الأمر من إمكان ذلك هو المشكل الذي يشدّنا دومًا .

لنتطلق إذن من السّائل دون أن يغيب عن أعيننا الموضوع الملازم له . إنّ الإنسان الذي لقي من التّعوت والأسماء ما خلّد بها إسمه عبر الزّمن . هل بقي له من السّؤال بقايا بعد أن انعكف على السّؤال وبحث في كلّ جوانبه ؟ هل يحقّ له أن يسأل في ظلّ . لا فقط تنوع الامكانيات . بل كذلك . إفتقار كلّ طيّات الإمكان ؟ بما يتردّد في التّكرار أو العود أو النّسيان أو التّجديد / هل نعلن عن تفتّق كلّ امكانيات الرّق المتتالية للشّوب القديم الذي لبسه أول رجل حرّ أعلن فقره في المعرفة والواقع وطلبه الدائم للحكمة المفقودة التي لم تأت بعد ؟ ألم يحن الوقت لكي نعزف عن هذا الزّهّد المتنطّع والغريب عن أرضه لكي نستبدله بشوب جديد يتماشى مع الواقع المتجدّد للإنسان ؟ لعلّنا بهذا التّمشي نرفض الإبداع

بالمفهوم ونجد التعبير بالصورة أو لعلنا مللنا التجريد دون موضوع محدّد مائل أمامنا هنا ، أو لعلنا نسقط المفهوم على الصورة (الفلسفة على الفن ) أو على المستبد الجديد حامي المدينة وحافظ الأرواح ذاك الذي يبشّر ويوحّد المكان والزمان في حركة تجمع المحسوس بالمعقول ، وبطريقة تجلّي إلهي ، وتتصر له وتقلص عالم الذات كمنبع للسؤال كيفما كان وأينما كان ! ذلك (هو العلم وما يشيره من بقعة لأحلامنا التي لم تتحقّق ) ...

إنّه السؤال ما ننطلق منه وما نعود إليه ولكن ليس كما انطلقنا . بل بعد أن أنجزنا المغامرة والحركة الدائمة والفعل المتواصل بحثاً عن معنى أو إبداعاً له . لذلك لا يهّمنا أن نبحث دوماً عن الأصل لأنّه سيكون دائماً حاضراً معنا . ولا يهّمنا أن نعرف أين الوجهة لأننا حينئذ سنرسمها قبلنا . ولا يهّمنا من أيّ موقع نتحدّث لأننا سوف لن نكون دوماً هنا بل في أرحال متواصل " فأنا أفكر حيث لا أوجد وأوجد حيث لا أفكر " (الآن) . ما يهّمنا هو أن نعي برغبتنا بالتحليق والمغامرة والسفر ، فلعلّ نظرنا للأرض من فوق القمر توقظنا من سباتنا وتجعلنا ندرك حقيقتنا أكثر ممّا نحن علينا . بجافيتها . ولو أدّى الأمر إلى الدوار والتقيؤ . فهذا أفضل من أن تبقى على أوهامنا السابقة والنتظر من سيأتي من رحلة الفضاء أو فلعلنا في حاجة للسفر بدورنا أو على الأقل لنستعدّ للإقلاع ونجاوز النظام والطبيعة وما يرهقنا من أثقال ! ألم يؤكد هايدجر على أن سؤال : ما الفلسفة ؟ هو سؤال خارق للعادة ، غير منتظر وخارج عن النظام . إنّه بأبى السبي ويعلم عن أنّه مارق دوماً لكل أنظمة الخطاب : مارق عن الدين والعلم والفن والسياسة والأخلاق ولكن مع ذلك أن يرفض كلّ إيمان ومعتقد فإنّه له أخلاقه الخاصة التي تجسّد مشروع الإنسان كما يمكن أن نرسمه أو كما نرفضه أو كما يستحيل أن تتصوّره أو نقبله أو كما لم نكن ننتظره ! ذلك هو رهانه ومفاجأته التي تنفجر ولا يعني ذلك أنّه قادر على المسك بها أو تحديد بداياتها أو نهايتها !

ولكن عندما يستبدّ بنا السؤال : هل يجب أن نلفظه لأنّه . قد لا يعيننا . أو لا يضيف إلينا شيئاً ؟ أم يجب أن نبقي أوفياء له ؟ وعندما نجبر عن الإجابة عنه . أو على الأقل عندما تختلط علينا السبل ولا ندري من أين نبدأ أو نماذا

نبدأ ومع من نبدأ . فهل يجب أن نستعيد الثقة في يقيننا القديم ونلتجئ وفق  
 أهوائنا ومصالحنا . إلى الرأي السائد الذي يتوحدنا ويسود علينا ؟ وعندما نرتطم  
 بالسؤال فيفاجئنا ويفاجعنا فنضاجعه فهل يجب أن نبني له قصورا من الرَّمْل في  
 إسبانيا بحيث تتحوّل البيوطوبيا إلى مسلك لحياتنا وواقعية لوجودنا ؟ وعندما  
 نتعكف على السؤال : هل يجب أن نتعجل أفوله ونهاياته وأجوبته أم يجب أن  
 نختر الوقت المناسب والفرصة السانحة بحيث أن العجلة تجهضه والتسرع يميته ،  
 والتأجيل يجعله سرايا وسدى لا رادّ له بحيث يكون الأوان قد فات فعلا ؛ ألا  
 يجب فعلا أن نتفرغ بما فيه الكفاية ونستعدّ للرحلة بكلّ قوانا وإمكانياتنا  
 وكذلك بكلّ مخاوفنا وحذرنا ولكن بكلّ شجاعتنا وجرأتنا أيضا ؟ الآن وقد  
 ظفرت براحة مضمونة في عزلة مطمئنة ... " (ديكارت) أتساءل للمرة الألف لماذا  
 يجب أن يتوقّف للفلسفة كلّ الوقت اللازم والمكان الملائم والفرصة السانحة حتّى  
 تبني عالمها وتبدأ في نسج خيوطها كالعنكبوت ؟ أتساءل لماذا كان مولد الذائبة -  
 الكوجيطو - مع ديكارت دون غيره ؟ ولماذا كان ديكارت ديكارتيّا وليس  
 ديكارتيّا ؟ ولماذا كان أفلاطون لا يقطع منشأ لفلسفة خاصّة بل محدداً لشروط  
 إمكان القول الفلسفي عموماً بصرف النظر عن تاريخه ولماذا كان أرسطو قارنا  
 هاماً في الفلسفة مصالحا بين الفلسفة والتاريخ ؟ ولماذا لا تعي الفلسفة بتاريخها  
 إلّا مع هيجل ؟ ولماذا نستعيد حضور وانكشاف الوجود وراء كلّ الموجود مع  
 هايدغار ؟ . لماذا يستيقظ هذا "الوجود هنالك" والحقيقة الإنسانية الدازين في  
 مملكته لكي يكتب كتابه ويدرك أنّه بالّلغة / الخطاب سيفتح أبواب الوجود ؟ لماذا  
 يستدعي الأمر أن يرفض الفكر وأن يتخلّص من قوالبه البالية ولكن يستعيدها  
 من جديد بنظام جديد ومنطق متجدّد ؟ لماذا يسكن داخل الفيلسوف شخص آخر .  
 قد يكون الصّديق " الوفي " (الكلب) الحارس الأمين لما خلّده ونسيه ولكن قد  
 يكون الغريب / الآخر / العدو (الذئب) ؟ لماذا تحتاج الفلسفة كما يبيّن ذلك جيل  
 ديبلوز " إلى " لا فلسفة لتفهمها ، فهي في حاجة إلى فهم لا فلسفي مثلما أن  
 الفنّ محتاج إلى لافنّ والعلم إلى لاعلم " (ص246 : ما الفلسفة ؟) ؟؟؟

لعلنا لم نخرج من متاهات السؤال بعد ولعلنا لن نخرج أبداً وعلينا أن نستعير بعض الآخر أو كله لا يهم حتى لا يفقد حديثنا المعنى وحتى نلتصق ببعض الضوء . الثور في هذا العماء . علينا أن نخرج من الكهف . أو علينا أن نعود إليه ولكن بعد أن أصبحنا نبصر حتى نتمكن من التمييز بين منطقة الظل والمحسوس والمعقول ، علينا أن نبليغ الفكر بالأمثلة حتى نتمثل بالصورة ونشير الحواس لايقاظ المفهوم من سياته . " فالمعرفة تذكر والجهل نسيان " أو فلنقل فالمعرفة إبداع من لاشيء . أو من بقايا الصور الباهتة . ولكن فيها بعض الوميض والبريق . أمّا الجهل فهو عود إلى الكهف والظلمة والعماء دون دليل أو نبراس يضيء مطبات الخطر وإجهاض السؤال .

لنترك إذن " الفلسفة " لتاريخها والفلاسفة لعصرهم وموقعهم وأنساقهم أو متاهاتهم . فليس سؤال ما الفلسفة ؟ هو السؤال الأول وليس السؤال الأخير ولكن يمكن أن نحائثه في كل لحظة وفي كل مكان سواء اتبعنا طريقه أو ابتعدنا عنه ، أو انطلقنا من أي مجال آخر غريب عنه فأننا سنجد أنفسنا لا نحوم حوله ، بل نتحرك فيه . سواء أبقطنا الموضوع فأنشدنا إليه ( ما الفلسفة ؟ ) أم أبقطنا الذات المتخفية وراءه ( ما التفلسف ؟ ) أم أبقطنا كيفية تشكل هذه العلاقة في كل عصر وفي كل مكان ومع كل فيلسوف ( كيف أدركت الفلسفة سؤالها ؟ كيف طرحت الذات السؤال ؟ إلى من نتوجه بالخطاب ؟ كيف أدركت مواضيعها ؟ كيف وعت بتاريخها وشخصياتها وبنات مسطحاتها ومفاهيمها ؟ كيف قرأت ماضيها وكيف تمثلت حاضرها وماذا تنتشد في مستقبلها ؟ ) .

أن نترك للسؤال الحق في الرقص والتحرر والإنطلاق . فهذا يجعلنا إزاء إمكانيتين : إما أن ننطلق من " الفلسفة " - مع تعليق الحكم أو الإحالة أو وضع بين معقفين أو الأبوكي - حول كل موقف حولها - إلى اللافلسفة \* أو أن ننطلق من اللافلسفة إلى الفلسفة ؟ ولكننا سنكون إزاء صعوبتين أو معضلتين .

1 - فمن أدرانا أننا في الفلسفة أو أننا نحتكم إليها كمقياس . أو أننا نستظل

بظلمها أو تنقَمَص صورتها ووجهها . مثلما اختفى السفطاني وراء الفيلسوف ولازمه كظله ومن أدانا إن كان السفطاني ليس بالفيلسوف الحق ؟ أو عبارة أخرى هل يجب أن نطلق من الأصل ونتبع القراءات خطابها ونبقى أوفياء إلى المنيع ؟ كيف نضمن الانطلاق في الفلسفة بدون إزاحة كل أحكام مسبقة حولها وبإنشاء صورة ترتضيها لها أو نتصورها بها دون أن نمتحن استمرارها وتميزها من خلال نموذج الآخر سواء كان فنيًا مثلًا أو دينيًا أو علميًا ؟ أم كيف نضمن وحدة صورته وامتدادها إلى قضاياها مع ملامساتها واحتوائها واعتزالها وتأرجحها وافتكاكها لأراضي وتصحّر سهولها وجديها أو هجرة سكانها وانبثاتها ؟ ...

2 - أما المعضلة الثانية والتي تنقلنا من اللافلسفة إلى " الفلسفة " والتي بمقتضاها لا يمكن لنا أن نعود إلى الأرض لنعمرها إلا بعد أن نجتاز الصعوبات والملاسل وبعد أن نتميز ونحدّد ونقسّم النقطة . بما يتضمن ذلك من إمكانيات التأثير والإرهاق والتحدّي . فمن يضمن لنا أننا سنعود إلى منبع السؤال ونبقى أوفياء له ؟ ومن يضمن أن لا يجرّنا التيار فيصطبغ بألوان الفصول ويفتقد السؤال جذوته واندفاعه أو على الأقل يتحدث بأكثر من لسان ويستمتع لأكثر من صوت ويعبر عن أكثر من وجه ؟ هل يمكن أن نجتمع الأصداد أو على الأقل أن نضمن تعايشها على جهة اقتسام الأرض أم يمكن أن نحول الخطاب إلى مجال للصراع الحاد وإرادة القوة والسيطرة ومنطق الإقصاء والعنف ؟ كيف يمكن أن نضمن " حرية الخطاب الانفصاح والارتجال والاستقرار في أرضه التي يبتغيها دون أن يؤدي الأمر إلى إفناء أحد جوانبه أو احتكار البعض الآخر لكل نفوذ ؟ كيف نضمن تعايش الأنا والآخر، الماهية والغيرية ، المحايشة والانفصال ؟ . كيف نضمن تعايش العلاقة بين المفهوم والصورة الوظيفية ، بين الفلسفة والفن والعلم ، دون الاختلاط أو التداخل أو دون التبعية والانغلاق ؟

أن نختار الدقاع عن الفلسفة أو التكلم بلسانها أو التعبير عن همها . فهذا لن يجدي شيئاً إذا لم نرفع الإلتباس أو إذا لم نتجاوز المؤلف أو إذا لم تعد قدرنا



وإذا لم تبلغ صوتها مع كثير من التوضيح . ألم يؤكد هيجل على أن الفلسفة هي العالم بالمقلوب وإذا استعيد ما يندثر من التصور فما ذلك إلا للتأكيد على صعوبة التعبير عنها ، مشقة الالتزام بها ، مخاطر الحركة على طريقها ، مزالق سوء الفهم والتقدير ، أو وقاحة خطابها الذي يستفز كل مراهن عليها أو ضدها . لكن هل علينا أن ننزل الفلسفة كسؤال ينبع من الإنسان ويمتد إلى كل مجالات وعيه وحتى لاوعيه . سواء بمواضيعها الخاصة أو بمواضيع خارجية . مرتبة أسمى أو أدنى أو موازية لكل خطاب آخر ؟ سوف لن نتصر للفلسفة سواء كنا منها أم ضدها ، سواء تحركنا من داخلها أم من خارجها . ولكن أن نرفض الفلسفة فهذا يعني أن نتحدث عنها وفيها وهذا انتصار لنا وأن نهاض كل موقف ضدها فهذا لا يضيف إليها شيئا بل يسقطها في العماء من جديد . علينا فقط رفع الالتباس والغموض الذي يكتنفنا حتى نفهم أنفسنا وما حولنا من خلال الأسئلة سواء اعتمدنا على هذا السجل أو ذاك . ولكن لا نعي أن تختلط سبل الخطاب المتنوعة أو أن نخترله في نظام بعينه . وعلينا أن نختر من أي وجهة نبدأ ولا يهم إلى أين نمضي . ولنبعد عن كل انغلاق أو بحث عن نهاية أخيرة . فعندما نعطي للفلسفة الصورة المنشودة التي نرتضيها ونطالب بها فأننا تنتقل إلى الحلم والوهم الكبير ، عصر انتصار الفلسفة النهائي الذي لم يأت بعد . وبالتالي فأننا نندفع للدفاع عن هذه الصورة بكل ما أوتينا من قوة رغم علمنا بهشاشة دعائمتنا وكثرة أعدائنا واستحالة التواصل ، وبالتالي نعلن عن هشاشة بنائنا وتستبد بنا الأهواء والرغبة فنبتعد عن هذا النبع الدقيق للمتعة وعندما نقرم من حضورها ودورها فأننا نصمت عن رفع الالتباس ونغيّب دورها وبالتالي نكون في منأى عنها وتستبد بنا غاذج تغيّب قول لا والتفكير الحر وتستسلم لأحلام " النعم " دون أن ندرك ما تخبئه لنا من مخاطر . وعندما ندرك دورها وقيمتها ونعطيها حق قدرها لا كما يجب أن تكون بل كما يجب أن تُنجز واقعها الفعلي فأننا نكون بحق أوفياء للحقيقة كحق للثراء والخصوبة . عندها لا نكتفي بالتلفظ بما يقال أو بما قيل ومن قال بل بما نقول ونبدع بأنفسنا ؛ ألم يدعنا سقراط إلى معرفة أنفسنا بأنفسنا ؟ ألم يدعنا ديكارت إلى استخدام عقولنا على الوجه الأكمل ؟ ألم يدعنا كانط إلى أن نفكر بأنفسنا ؟ ألم يدعنا هيجل إلى أن نكون مثل الفرد . ابن

عصره وزمانه ؟ - ألم يدعنا نيتشه لكي نحطم أصنامنا القديمة ونعلن أن الإله قد مات - هذا المطلق - الثابت - الذي يستبدُّ بفكرنا ويحيي أوهامنا ونعلن عن صفاء الحقيقة ؟ ألم يعلمنا هوسرل كيف يمكن أن تظلَّ الفلسفة وفيَّة لعهدا باعتبارها " علما صارما " لا يمكن قطع رأسها لأنَّها مشدودة إلى الإنسان دوما ؟ ألم يعلمنا فوكو كيف نكشف عن خطاب الجسد المكبوت الذي ترسم فيه علاقات السُلطة واستراتيجياتها وماهياتها وتقنيات المعرفة بينائيتها ؟ ثمَّ ألم يعلمنا دلوَز على أن الفلسفة تظلَّ دوما ولو بطرق متعدِّدة تقوم على إنشاء أو إبداع المفاهيم كحقل خصب لا ينضب عطاؤه ؟ .

فماذا يمكن أن تخفي الفلسفة خلف خطابها المتشعَّب والمتلوي الذي يزداد تيهانا كلِّما اشتدَّ وتر المفهوم ؟ بل لعلَّها تظهر أكثر ممَّا تخفي ؟ أو لعلَّها تنتظر من يزيح الحجاب عنها ليرى بصيرتها وإبصارها ؟ بل لعلَّها تخاطبنا من نفس المكان ونفس الزَّمان ونفس الصوت وكأنَّه عود على بدء أو بدء أيدي ! إنَّها تخاطب الإنسان لكي ينتهي ، لكي يعي ولكي يتحمَّل مسؤوليَّة قدره كذات مبدعة لوجوده في غيابة الماهية القابضة . إنَّها ترسم معالم الإنسان وتترك بصماته . إنَّها تعلن أنَّه كان هنا وتكلم وكتب وجاهد ولكنه لم ينتهي . إنَّه صراع القدر بل إبداع القدر والثورة عليه . فماذا يعني أن نبحت في السَّماء سواء كما تترأى لنا أو كما نتصوِّرها ونتخيَّلها أو كما نبنينا ؟ وماذا يعني أن نبحت في الأرض ، في سطحها ومرتفعاتها ومنخفضاتها وأعماقها ؟ وماذا يعني أن نبحت في مشاغل البشريَّة سوى أنَّها مشاغلنا ومشروعاتنا عنه ؟ وماذا يعني الفلسفة إن حُدِّت معالمها ونطقت حول مسائلها وأقصحت عن قولها - سواء حول " قضاياها الخاصَّة " أو حول القضايا التي ترتبط بالخطابات الأخرى ؟ فماذا يعني الفلسفة أن تسأل حول نفسها وتاريخها وكتَّابها وقارئها ؟ وماذا يعنيها أن تبحت في قضايا قد تبدو غريبة عنها لا تطالها ولا يجوز لها أن تتطلَّع عليها ؟ إذ ماذا يمكن أن تضيفه للعلم الذي قد تتركه أو قد لا يسمع صوتها ؟ وماذا يمكن أن تضيفه للفن الذي يتكئ على وسادة الحرير ؟ وماذا يمكن أن تضيفه للدين

الذي لا تزيده إلا حيرة وتوقظ فيه شكّه القديم وكفره ؟ وماذا يمكن أن تضيفه إلى الفكر الذي تستهويه كل أشكال الملابس الجاهزة وسهولة الاستعمال والمثال ؟ ماذا يمكن أن تضيف لنفسها ولغيرها غير بقايا تحويمات ؟! فلعلّ قول أي شيء حول كل شيء أو بعضه بطريقة شموليّة من شأنها أن توقظ السّؤال ؛ ولعلّ القول أفضل من الصّمت . ولعلّه عليها أن تبقى وفيّة لقدرها وأخلاقيها في أن تطرح السّؤال كيفما كان وأينما امتدّ بحثا له عن مأوي أو معاودة دائمة لتجديد الفكر حتّى لا يرتكن إلى الصّمت . قد تبدو الحقيقة التي نصل إليها والموضوع الذي نساّله والسّائل الذي يسأل لا معنى لها . ولكن أن نبدا السّؤال وأن نحركه إلى هاجس وأن نساّله ونستند إليه فهذا أفضل لنا من القبول في الكهف "وزجاجة التقاليد" و"سلطة السائد" والحسن المشترك . أو لعلّ الشّجاعة في القول والاختلاف عن الآخر وإنشاء عالمنا الخاص المنفتح على الآخر من شأنه أن يهبنا المعنى الذي نفتقده .

فكيف لا نكون أوفياء للسّؤال الذي به ومن خلاله نبدأ فعلنا وينكشف العالم أمامنا كاستفزاز دائم يطالبنا بالبحث في معناه ؟! وكيف لا نكون في مستوى قدرتنا على طرح السّؤال بأنفسنا ومن أجل أنفسنا أي كان هذا السّؤال ومهما كانت سذاجته أمامنا أو استغرابنا منه ؟! إنها السّؤال الذي يأبى التّحنيط ولكنه يراوغنا فتراوغه ويستبدّ بنا فنسعى لامتلاكه . ألم تنشأ الفلسفة من الدهشة ؟؟؟ لا كثائر بل كتأثير ، وعندما لا نرى لنا العالم بأعيننا أو مشاعرنا أو منافعنا فقط بل كذلك بعقلنا المرتجل دوما ، وعندما لا نرى أنفسنا . لا فقط كما سوتها الطبيعة أو الآلهة أو كلّ حتميّة وضرورة بل كمشروع حرّ مليء بالمعجزات . عندما نستعيد أنفسنا من جديد ونعود إلى زمننا و"وجودنا الحقيقي" كحرية عصيّة عن كلّ فهم و"حامله" لكلّ قيمة . عندما نتكلّم بأنفسنا ولكننا نخاطب كلّ العالم وكلّ الإنسان عندئذ فحسب يمكن أن نقول فعلا إنّنا كنّا أوفياء للسّؤال وأخلاقياته وبالتالي نصنع لأنفسنا الإنسان الذي لم يكن ولن يكون ولكنّه كان هنا وفي كلّ مكان .

# المنزع العقلي في اللزوميات :

## معرفة العقل وعقل المعرفة

بقلم : الحبيب الذريدي

### مقدمة :

لئن التزم أبو العلاء في ديوان « اللزوميات » ما لا يلزم وتكلف ثلاث كُلف : الأولى أنه ينتظم حروف المعجم عن آخرها ، والثانية أن يجبي رويته بالحركات الثلاث وبالسكون بعد ذلك ، والثالثة أنه التزم مع كل روي حرفا ثانيا لا يلزم فأنه في المقابل لم يلتزم ما يلزم من قواعد كانت بمثابة الثوابت الراسخة في الشعر العربي : الأولى أن قصائده لم تود مصروعة ، والثانية أنه لم يلتزم البنية الكلاسيكية للقصيدة العربية والثالثة أنه لم يلتزم الأغراض المتعارفة في الشعر العربي من مدح وهجاء وتفاخر ورناء وغيرها ، بل إن قصائده اللزوميات كانت تدور حول قضايا فكرية وفلسفية وماورائية وتقوم على تأملات في الحياة والموت والإنسان والله ، وإنما كان العقل المحرك لجميع هذه القضايا والمؤسس لجملة هذه التأملات .

### 1 - معرفة العقل :

#### (1) - العقل نقيض الطبع :

لقد عامل أبو العلاء العقل في مواطن من اللزوميات معاملة المجهول فأخذ يتحسس السبل إلى تعريفه ويلتمس الأسباب إلى إدراك كنهه وحقيقته وانتهى إلى اعتباره نقيضا للطبع والغريزة ، ذلك أن العقل يُشير بالرشد أما الطبع فلا يأخذ إلا إلى الضلال والغَي :

إذا ما أشار العقل بالرشد جرهم إلى الغي طبع أخذُه أخذُ ساحب

ثم إنَّ العقل عند أبي العلاء يسعى إلى جلب المنافع والمصالح أمَّا الطبع فلا ينزل  
بصاحبه غير الآفات والتَّوائب :

والعقل يسعى لنفسه في مصالحها      فما لطبع إلى الآفات جَنَاب  
وإذا كان العقل مفضيا إلى معرفة الحقائق فإنَّ الطبع يجذب إلى الوقوع في الخلط  
وتصديق الأباطيل :

نهاني عقلي عن أمور كثيرة      وطبعي إليها بالغريزة جاذبي  
ومَّا أدام الرِّزءَ تكذيب صادق      على خُبرة منَّا وتصديق كاذب

## (2) - العقل مصدر المعرفة :

قد يُعرف العقل عند أبي العلاء بكونه مقابل للطبع ونقيضا للغريزة وقد يُعرف  
كذلك بأنَّه المصدر الأوحد للمعرفة والأداة الأقوم لإدراك الحقائق ، ولذلك اعتبره أبو  
العلاء إماما مرشدا وهاديا موجهًا :

كذب الظنَّ لا إمام سوى العقل      مُشيرًا في صبحه والمساء

فإذا ما أظلمتْه جلب الرُّحمة      في قلمي الميسر والإرساء

وقديذهب أبو العلاء إلى شأو أبعد من هذا فلا يكشف باعتبار العقل إماما وهاديا  
بل يتَّخذه نبيًّا يُصدِّق رسالته ويؤمن بتعاليمه :

أَنبأ الغرَّ إنَّ حُصصت بعقل      فاسألنَّه فكلَّ عقل نبيُّ

وإذا كان العقل مصدر المعرفة اليقينية فإنَّه كذلك أداة الشكِّ وإبطال الأكاذيب  
ومقياس التمييز بين الحقيقة والباطل واليقين والوهم :

ولا تُصدِّق بما البرهان يُبطله      فتستفيد من التصديق تكذيبها

وإنَّ العقل في شرعة أبي العلاء هو المرجع في إثبات المعارف أو نفيها وعليه  
المعول في تأييد الحقائق أو تفنيدها :

يقولون : إنَّ الجسم ينقل روحه      إلى غيره حتَّى يهذبها النُّقل

فلا تقبلن ما يُخبرونك ضلَّة      إذا لم يؤيِّد ما أتوك به عقل

ويتَّضح جليًّا اعتبار العقل مصدرا للمعرفة عندما يشبَّهه أبو العلاء بالمنهل الذي  
يغترف منه النَّاس المعارف وبالبحر الذي يفيض بالأفكار :

الفكر جبل متى يمسك على طرف منه يُنط بالثريا ذلك الطرف  
والعقل كالبحر ما غيضت غواريه شيئا ومنه بنو الأيتام تغترف  
والعقل عند أبي العلاء هو وسيلة النظر في التأليف وإعمال الرأي في الكتب  
وهو أداة التمييز بين ما تتضمنه هذه التأليف من فوائد وحقائق وما قد تنطوي  
عليه من أوهام وأباطيل :

أخبرت عن كتب أعجوبة وربّ مدين ضمنتها الكتب  
تواصل الغي ولو لم يكن فيك حجى ما عتبتك العتب

### (3) - العقل مصدر الهدى :

لقد عرف أبو العلاء العقل بكونه نقيضا للطبع وأداة للمعرفة ، وعركه أيضا  
بأنه الطريق إلى الهداية والسبيل التي ينبغي أن تسلك إلى الرشاد ، فهو عنده  
النور الذي يستضاء به في هذه الطريق والسراج الذي يُنير هذه السبيل :

خُذُوا فِي سَبِيلِ الْعَقْلِ تُهْدُوا بِهِدِيهِ وَلَا يَرْجِعْ غَيْرَ الْمُهِيْمِن رَاج  
وَلَا تُظَنِّمُوا نَوْرَ الْمَلِيكِ فَإِنَّهُ مَتَّعَ كُلَّ مَنْ حَجَى بِسَرَايِ

وإن متبع العقل عند أبي العلاء هو المهتدي إلى الرشاد والتقوى لأن العقل  
لا يُغضي إلا إلى الخير من الأعمال والحسن من الأفعال :

أَفْنَعُ بِمَا رَضِيَ التَّقِيُّ لِنَفْسِهِ وَأَبَاحَهُ لَكَ فِي الْحَيَاةِ مُبِيحُ  
مَرَّةَ عَقْلِكَ إِنْ رَأَيْتَ بِهَا سَوَى مَا فِي حِجَاكَ أَرْتَهُ وَهُوَ قَبِيحُ  
أَسْنَى فَعَالِكَ مَا أَرَدْتَ بِفَعْلِهِ رَقْدًا وَخَيْرُ كَلَامِكَ التَّسْبِيحُ

وإذا كان اتباع العقل والإلتزام بأمره ينتهي بالمرء إلى الإهتداء فإن ترك العقل  
يوقع صاحبه في الضلال والغي :

تَرَكْتُ مَصْبَاحَ عَقْلٍ مَا اهْتَدَيْتَ بِهِ وَاللَّهُ أَعْطَاكَ مِنْ نَوْرِ الْحُجَى قَبَسَا

يمكن التعرف إلى ماهية العقل عند أبي العلاء بمعرفة نقيضه وهو الطبع  
والغريزة ، كما يمكن التعرف إليها بواسطة البحث في نتائج استعمال العقل  
كتحصيل المعارف والانتهاه إلى الهدى .

## 2 - عقل المعرفة :

ليس للعقل دور في لزوميات أبي العلاء بضاهي دوره في اكتساب المعرفة وإدراك الحقائق وبلوغ اليقين ، فهو الوسيلة الوحيدة لتحصيل المعارف واستكناه الحقائق . ويمكن تقسيم المعارف التي يفضي إليها استعمال العقل إلى نوعين : معارف تتصل بأمور الدنيا وستصطلح على تسميتها بمعرفة المعاش ، ومعارف تتعلق بأمور الدين ونسبها معرفة المعاد .

### (1) - معرفة المعاش :

#### أ - معرفة الحقائق :

إن إدراك الحقائق مطلب صعب عسير وتخليص اليقين من الوهم أمر بعيد الغاية مستعصي السبيل ، والعقل وحده كفيل بإيقاف المرء على مطلبه ، فمعرفة الحقائق مشروطة باستعمال العقل ، وذلك ما تفهمه من أبيات كثيرة لأبي العلاء مثل قوله :

كَمْ أَمَّةٌ لَعِبَتْ بِهَا جُهَالُهَا فَتَنَسَّطَتْ مِنْ تَهْلُ فِي تَعْدِيهَا  
الْحَقُّ يَلْتَجِئُ إِلَى تَصَدِّقِهَا وَالْعَقْلُ يَحْلُلُهَا عَلَى تَكْذِيبِهَا

وقد يتكلم أبو العلاء على لسان العقل فيدعو الناس إلى اتباعه لأنه سيهديهم إلى الحقائق فيقول :

لَوْ أَتَيْتُمْنِي وَيَحْمِلُ لَهْدِيهِمْ إِلَى الْحَقِّ أَوْ نَهَجَ لِدَاكِ مَقَارِبَ

وتتجلى قيمة العقل في معرفة الحقائق ودوره في الوصول إليها عندما ينهض بوظيفة التحقيق ويُستعمل للتمييز بين الصواب والخطأ ، ذلك أن العقل عند أبي العلاء هو الفاصل عند اختلاط الحقائق بالشبهات وامتزاجها بالأوهام :

جَاءَتْ أَحَادِيثُ إِنْ صَحَّتْ فَانْ لَهَا شَأْنًا وَلَكِنْ فِيهَا ضَعْفُ إِسْنَادِ

فَشَاوَرَ الْعَقْلَ وَاتْرَكَ غَيْرَهُ هَسْدًا فَالْعَقْلُ خَيْرٌ مَشِيرُ ضَمِّهِ النَّادِي

وإن العقل عند أبي العلاء يفتح الكثير من المغلفات ويحل ما استعصى من الأمور ويُطلع المرء على بواطن الأشياء ويُجلي له القوامض والمبهمات ، ومن هنا جاز اعتباره وسيلة لمعرفة الحقائق وفي ذلك يقول أبو العلاء :

أَمَا الْحَمْرُ فَهِيَ تُزِيلُ عَقْلًا فَتُحْتِ بِه مَقَالِقُ مُبْهِمَات

ب - معرفة الدنيا :

إذا كان العقل أساس نظرية المعرفة عند أبي العلاء ، ولما كانت العمليات العقلية هي منهجه في إدراك الحقائق فأنه من الضروري أن نشير إلى أن معرفة الدنيا وبنيتها وفهم العالم والزمن جميعها مسائل اتخذ أبو العلاء العقل أداة لاستكناها ومعرفة حقيقتها. فقد نظر أبو العلاء في الدنيا وأعمل الفكر في تأملها فانتهى إلى تقرير سوء حالها كما تعقل ساكنيها فوقف على سوء متقلبهم فيها :

لقد تفكرت في الدنيا وساكنيها فأحدث الفكر أشجانا وتأسرنا

قد أغرقوا في معاصيهم فما لهم لا يؤمنون من الطوفان تغرقنا

ويتوصل أبو العلاء إلى النتيجة نفسها عندما يعمل العقل في أمر العالم وأهله ، ذلك أن العقل يُخبره بسقوط هذا العالم في مهاوي الباطل ويثبت له فساد النفوس البشرية فيه :

العقل يخبر أنني لست بأحد من باطل وكذاك هذا العالم

مثل الحجارة في العظام قلوبنا أو كالخديد فليقتلنا لا نال

ولما كان العقل قد أفضى إلى تأكيد فساد العالم وسوء حال الدنيا وأهلها فأنه من العقل كذلك ألا يحسن المرء الظن بالدنيا وساكنيها وأن يتعامل مع العالم تعامل الشاك المرتاب :

من قلة اللب عند النصيح أن تأبى وأن تروم مع الأتام إغتابا

خل الزمان وأهليه لشأنهم وعش بدهرك والأقوام مرتابا

ج - معرفة السياسة :

مثلما كان العقل مصدر معرفة الحقائق المجردة والعامة وأساس المعارف المتصلة بالدنيا وساكنيها فأنه إلى جانب ذلك كله أداة المعرفة السياسية وشرط نجاح الساسة في إدارة ممالكهم وحكم رعاياهم ، فللعقل دور رئيسي في تحصيل المعارف المتصلة بسياسة أمور الناس وإدراك الحقائق المتعلقة بإدارة شؤون الرعايا ،



لذلك فإن سياسة الأمور في غياب العقل تُفسد الحكم وتحطّ من منزلة الحاكم :

يسوسون الأمور بغير عقل      فينفذ أمرهم ويُقال : ساسة

فأف من الحياة وأف منسى      ومن زمن رئاسته خماسة

ومن جهة أخرى فإن رجل السياسة الذي يترك استعمال العقل ويستغني عن  
النهج العقلي في سياسة أحوال الرعية يكون خارجا عن الصواب ومجانبا للحق :

وإذا الرئاسة لم تُعن بسياسة      عقلية خطئ الصواب السائس

#### د - معرفة التاريخ :

من المعارف الدينية معرفة التاريخ وهي الاطلاع على ما سلف من أخبار  
الأمم والأقوام المتقدمة والتعرّف إلى أحوالهم وأقوالهم وأمثالهم ، وقد تُعرف هذه  
الأخبار والأحوال من وجوه مختلفة إلا أنها عند أبي العلاء لا تُعرف المعرفة الحقّ  
إلا إذا كان العقل أداة تلك المعرفة ووسيلة تحقيقها ، وقد تعقّل أبو العلاء أيام  
الأقدمين وتاريخهم وانتهى إلى تقرير النتائج من تعقّله ذاك ولخص تجربته قائلا :

ما كان نبي الدنيا ينزّون      إلا وعندي من أخبارهم طُوف

يُغيّر العقل أن القديم ما كُرموا      ولا أقادوا ولا طابوا ولا عرفوا

عاشوا قليلا وماجوا في ضلاتهم      ولا يفوزون إن جوزوا بما اقترفوا

#### هـ - معرفة الحلال والحرام :

لئن تبدو معرفة الحلال والحرام معرفة نقلية باعتبار أن النصوص الدينية  
الأصلية كالقرآن والحديث قد أشارت إلى حدود كلّ من الحلال والحرام وضبطت  
مقاييس التحليل والتحرير فصار الحلال بيّنا والحرام بيّنا فإن أبا العلاء يضيف  
إلى الحجج النقلية حججا عقلية . ففيما يتعلق بالخير مثلا كان أبو العلاء في  
قصائد كثيرة من لزومياته ينبّه إلى أن العقل فضلا عن الدين يأمر بتجنّبها  
وتركها ويعتبرها من المحرّمات وهو يقول في شأنها :

ولو أنها كالماء طلق لأوجبت      قلاها أصيلات النهى والتجارب

تألى الحجي واستشهد السكر أنها      ذميمة غيب لا تحسّل لشارب

ويظهر تدخّل العقل جلياً في تحريم الخمر عندما يُنبئ بأنّها تُخلّف لصاحبها الأذى والضّرر ، وبذلك يتّضح دور العقل في معرفة الحلال من الحرام إذ أنّ هناك مقياساً في تحصيل هذه المعرفة وهو مبلغ النّفع أو الضّرر الحاصل من وراء القيام بالأفعال ما لم يخرج ذلك عن إطار الشّريعة :

قُلْ لِلْعَدَاةِ وَهِيَ ضِدُّ النَّهْيِ      تنصّلها أبداً سيوف محارب ؛  
لو كان لم يحضرك غير أذبة      شيء لبست مباحة للشّارب  
لكن حماك العقل وهو مؤمّر      فأنأي وراءك في التراب الثّارب

## (2) - معرفة المعاد :

### أ - معرفة الخالق :

لئن اختلفت الفلاسفة وعلماء الكلام وأهل الأديان بخصوص طرق البرهنة على وجود الله فإنّ أبا العلاء يرى أنّ العقل كفيلاً بإقناعه الدليل على وجود خالق أوجد لجميع المخلوقات ، فتعقّد التكوّن العضوي للإنسان مثلاً هو قرينة واضحة على أنّ وراء دقّة الخلق خالقاً منشئاً مدبّراً :

عجبي الطّيب بلعد في الخالق      من بعد درسه التّشريح  
كيف لي أن أكون في داري الأخرى      معاني من شقوة مستريح  
ذا اقتناع كما أنّ اليوم فيه      أو أخلّى فلا أريم الضّريح  
عجبا لي أعصى من الجهل عقلي      ويظلّ السّليم عندي جريح

وقد مكّن العقل أبا العلاء من التّحقّق من وجود الله فأخذ في تنبيه المرتابين وذوي العقول الضّعيفة الذين انتهوا إلى الشك في وجود الخالق فقال :

لا ريب أنّ الله حقّ فلتعُدّ      باللّوم أنفسكم على مراتبها  
وغدت عقولكم تعاتب أنفسا      ليست تريع لنصحها وعتابها

### ب - معرفة الشّرائع :

لقد عاش أبو العلاء في مكان وزمان كثرت فيهما الشّرائع والأديان وتعايش فيهما المذاهب المختلفة والملل المتعدّدة ، ففي الشّام كان الإسلام يتجاور مع

المسيحية وكانت اليهودية تُجانب المانوية مما دفع أبا العلاء إلى القول في ديوانه الأول :

في الأذقية فتنة ما بين أحمد والمسيح  
هذا بناقوس يصدق إذا بمؤذنة يصيح  
كل يعظم دينه يا ليت شعري ما الصحيح

ونجد في مواطن كثيرة من اللزوميات ما يشير إلى الصراعات التي تدور بين الملل والأديان المختلفة وما يكشف موقف أبي العلاء من هذه الاختلافات ، وهو موقف يثبت دور العقل في حسم هذه الصراعات وأهمية الإحتكام إليه في تبين صائب هذه الآراء ، كما يدعو هذا الموقف إلى إعمال العقل باعتباره الأداة الوحيدة للمعرفة في أمر الأديان والشُرائع وإلى نبذ التقليد والتأثر الوراثي في التدوين :

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عودُه أبوه  
وما دان الفتى بحجى ولكن بعلمه التدبّر أقره  
وجاءتنا شرائع كل قوم على آثار شئ رتبوه  
وغير بعضهم أقوال بعض وأبطلت الشئ ما أوجبوه

ثم يصرف أبو العلاء اهتمامه إلى الكتابيين من يهود ونصارى فيتحدث عن شرائعهم ويلمّح إلى ما طرأ على كتبهم من تحريف وتأويل مشبها إلى أن العقل هو الأداة في تبين كل ذلك :

يتلون أسفارهم والحق يخبرني بأن آخرها مبین وأولها  
صدقت يا عقل فليبعد آخر سفه صاغ الأحاديث إنكا وتأولها  
وليس حبر يبدع في صحابته إن سام نفعنا بأخبار تقولها

ثم يعرض أبو العلاء إلى مجادلة اليهود والنصارى فيرى أنهم لم يحتكموا إلى العقل في إثبات آرائهم لأنّ تحكيم العقل يُفضي حتما إلى تفنيد هذه الآراء وإظهار فسادها :

رأيت جماعات من الناس أولعت بائئات أشياء استحال ثبوتها  
فقد أخبرت عن غيرها سنواتها كما أخبرت آحادها وسبوتها

ويؤكد أبو العلاء أن كثرة الملل والنحل وتعدد الشرائع إنما أمر يعود إلى عدم استعمال العقل واللجوء إلى التقليد والاحتذاء فيقول :

**والعقل يعجب والشرائع كلها خبر يقلد لم يقسه قانس**

وأمام تفرع الشرائع وتعدد الملل والمذاهب رأى أبو العلاء أنه من العقل ألا ينتسب المرء إلى أحدها وأن الرأي المصيب يدعو إلى اتباع العقل واتخاذها مذهبا :

**وينفر عقلي مفضيا إن تركته سدى وأتبع الشافعي ومالكا**

ولكن رفض الملل والمذاهب لا يعني بالنسبة إلى أبي العلاء الاستغناء عن الدين لذلك نراه يؤنب تاركي الأديان ويعتبر أن العقل يقتضي عدم نبذها :

**نہذتم الأديان من خلفكم وليس في الحكمة أن تنبذوا**

### ج - معرفة الغيب :

إن العقل عند أبي العلاء أداة خلاقة في المعرفة ، لذلك فإن المعارف التي تبدو مستعصية وعسيرة التحصيل بالإمكان الوصول إليها وإدراكها بواسطة العقل ، ويصبح العقل قادرا على الإتيان بعلم الغيوب إذا كان مغمورا بالتجربة :

**إذا قرن الظن المصيب من الفتي يتجربة جاء بعلم الغيوب**

ويتحدث أبو العلاء عن قدرة العقل على توقع الآتي وطاقته في استباق الأحداث واقتداره على استشراق المستقبل فيعتبر ذلك ضربا من ضروب علم الغيب فيقول :

**محدثك الظنون بما تلاهي كأن الظن علم الغيوب**

### د - معرفة الموت :

لقد تضاربت آراء المذاهب بشأن حقيقة الموت وتباينت المعتقدات بخصوص مصير الإنسان بعد الموت حتى أصبحت معرفة الموت من المعارف التي تستعصي على العقل وتلتبس على الأفهام ، وقد عبر أبو العلاء عن ذلك قائلا :

**أذهني طال عهدك بالصقال وماج الناس في قيل وقال  
ستطلقني المنية عن قريب فائي في إيسار واعتقال**

### أمور يلتقيش على البرابسا كأن العقل منها في عقال

ورغم هذه الحيرة الظاهرة فإنه بالإمكان أن نتعرف إلى موقف أبي العلاء من الموت فهو عنده انطلاق من أسر الحياة وطوقها لأن مسيرة الإنسان عنده لا تنتهي في لحظة الموت وإنما تلك اللحظة هي بداية مرحلة جديدة في قصة الوجود ، وكل هذه المعارف يفضي إليها إعمال العقل والتبصر في حقيقة الموت ، لذلك يعتبر أبو العلاء أن الموتى لا يستحقون البكاء لأنهم أحياء في الحقيقة وليسوا أمواتا :

دنياك دار إن يكن شهادها عقلا لا يبكوا على غيابها

### خاتمة :

إنَّ النظَر في منزلة أبي العلاء بين أعلام المنزع العقلي في الأدب العربي القديم ينتهي بنا إلى جملة من النتائج :

- إنَّ أبا العلاء يمثِّل في لزومياته مرحلة من مراحل تطوُّر هذا الإتِّجاه العقلي ، وقد تميَّزت هذه المرحلة بالخوض في الماورائيات وإثارة قضايا تتصل بالفلسفات والمذاهب والشرائع وتدبر أمور العالمين : عالم الشهادة وعالم الغيب ، وقد حاول أبو العلاء أن يجعل العقل حكما في حسم هذه القضايا وقيضا في حلها والوصول إلى حقائقها .

- إنَّ لزوميات أبي العلاء مثَّلت إضافة نوعية للشعر العربي القديم الذي لم يعرف قبل المعري شاعرا خصَّص ديوانا كاملا للماورائيات والتأمل في الإنسان والكون والحياة والموت ، وبذلك يكون أبو العلاء أول من أخضع الشعر لقضايا الفكر وصاغ مشكلات الفلسفة شعرا فيكون بذلك شاعر المفكرين ومفكر الشعراء .

- إنَّ المعرفة عند أبي العلاء ليست نقلية ولا حدسية وإنما هي معرفة عقلية تتخذ العقل أداة ومنهجاً والحقيقة الخالصة من الأوهام هدفاً ومقصداً .

- إنَّ موقف أبي العلاء هو ردّ فعل إزاء ما انتشر في عصره من اتِّجاهات مغضبة عن العقل مثل الباطنية والمتصوفة أو أوهام عمل الساسة ورجال الدين على إشاعتها ونشرها .

## حديث عن الشعر والشعراء..\*

بقلم : رشيد الذواودي

الحاجة إلى التعبير عن الذات خلعت على النطق وعلى التركيب أشكالا مختلفة ، ومن هنا توقف العرب على أن يقسموا الأدب إلى قسمين هما : (الشعر والنثر ) ثم ليضعوا ضوابط مؤسّسة لهذين القسمين .

وكما قننوا النثر ووضّحوا جماليّاته المتنوّعة عرفوا الشعر بـ : (الكلام الموزون المقفى الذي يجري على محور الخليل ) .. والعرب تقبلوا في فنون الشعر : تجديدًا في الصياغة كـ (المثنائي ) و (الرّباعيّات ) و (المخمسات ) وما إليها وارتضوا الموشّحات والأرجوزات وأجازوا تنوع البحر والقافية في القصيدة الواحدة ، فهم لم يغادروا بهذا ميدان الشعر ، ولا قواعده المستقرّة (1) .  
ولئن بدا اهتمام العرب بالشعر قاتع السيرة (ديوان العرب) ؟ لأنّ في شعرنا

العربي الخالد كنوزًا لا تُنفد ولا يخبئها إلاّ أهلها ،  
<http://Archive.org/details/ديوانالعرب>

\* الشعر تجرّية إنسانيّة ومعاناة

\* والشعر يكتب لغة الحياة ويعبّر عنها بكلّ البراءة والصدق (2) .

قلت .. إذا ما كان الشعر بهذه الأهميّة فلم بدأت حصونه تتعرّض لحملات الدكّ المنتظمة ابتداءً باسقاط القافية ، واكتفاءً بتفعيلة ، ثمّ بالإستغناء عن البحور ، وبعدها الإكتفاء بالنّبر ، ثمّ جاء القول بالشعر العامّي وبقصيدة النثر الخ ... ؟  
وظيفة الشّاعر والمبدع عامّة :

وأنا شخصيًا لست مع جماعة وضدّ جماعة أخرى ، فأنا أعتبر الشعر محيطًا وليس بحرًا ، وتجذبني فيه الزّوابع والبروق كما يشدّني عالمه الفسيح ومضامينه التي تشير الجدل والخلاف ، فأنا مع الشعر الجيّد ، ومع الاتجاهات الشعريّة التي أكّدت على الحرّيات ، وتفرّدت بالنّغم الإيقاعي .

\* مداخلة ألقاها الأديب برابطة الأدب الحديث بالقاهرة يوم 1998/3/17

إنَّ الشَّعْرَ - ومنذ العصر الجاهلي وحتى اليوم - لم يكن بمعزل عن الحياة فقط ،  
والشَّاعِر هو شاعر الفرد والجماعة ، وشاعر المرأة والرَّجُل وشاعر " التَّفْعِيلَة " وشاعر  
( الحداثة الشعريَّة ) .

وخذُ أمثلة من هؤلاء الشُّعراء الذين جابهوا بشعرهم التناقضات وعصر الحریم  
أمثال : عبد الوهاب البيَّاتي ، ونزار قباني .. فكلّهما له رأي في ( الحداثة  
الشعرية ) ، وكلّهما استوعب قضايا العصر وفتفت له الجماهير هنا وهناك ،  
وتكالب عليه الأعداء أيضا ..

وإنَّ جرأة نزار قباني مثلا ، هي التي جعلت أكثر دواوينه السَّياسية محضورة ،  
وديووانه الموسوم بـ ( لا ) أكبر دليل على ذلك ، لأنَّ نزار يكتب من أجل المبدأ لا  
من أجل المصلحة أو المنفعة ، وإنَّك لو جمعت شعره السَّياسي كلّهُ ، لما وجدت فيه  
بيتا واحدا يمثِّل (هفوة) أو (سقطّة) كتلك التي نجدها في شعر غيره على الرِّغم  
من شعاراته (الرئانة) وتراكيبه الخطابية المباشرة ، فشعر نزار إذن موجه ومؤلم ،  
فهو يريد أن يعالج الخرج بالنَّار ، وقد لا يعجب طوقف نزار هذا فرأينا من  
يقول : إنَّ نزار شغلته المرأة وإنَّ الوطن العربي لا يحضره إلا إذا كانت هناك هزيمة  
وتردّي في أوضاع العرب .

ومهما قيل في نزار وغيره ، فإنَّ النِّقاد تساءلوا أكثر من مرّة عن أغراض  
الأجناس الأدبيّة ، وعن دور المبدع ، وكانت آراؤهم أحيانا قاسية ولاذعة .

وإذا ما كان قباني قد قام بمنجز لا يقلُّ خطورة وروعة على صعيد اللُّغة ؛ حيث  
كان يرى (اللُّغة) قبل اشتغاله عليها ؛ (إقطاعيّة وطبقيّة) ؟ فإنَّ الشَّعْر يبقى  
دائما مرتبط بـسرِّ النِّغم ، و(النِّغم) هو سرُّ القصيدة .. وعلينا أن نقبل بعض  
العبوديّة الجميلة البادية في دلال القصيد الذي يعبّر عن صدق الواقع وينقل ما  
يجري في الحياة .

ومهما اختلفنا في بعض الإشكالات وحتى في قضايا الإنسان نفسه ، فإنَّ  
الشَّعْر يظلُّ هو الرّكّز لمختلف جوانب الحياة سواء كان (القصيد) حراً أو عمودياً ،  
أو مرسلا على الرِّغم من المهجات المضادة لهذا اللون أو لذاك .

## وجهات نظر :

ومن بعد إلى حوارات الأدباء التي جرت منذ الأربعينات حول مهمة الكاتب والمبدع والأدب بوجه عام يرى عديد الأسئلة طرحت ، فنزار قباني مثلاً حينما تحدّث عن الشعر الحديث في (الشعر قنديل أخضر ص 53) قال " السّهولة الظاهرية لطريقة الشعر الحر، قد شجّعت كثيراً من الدخلاء على الإدلاء بدلوهم في هذه البئر، وعلى ظهور كثير من النتائج الرديئة التي أساءت سمعة الشعر وإلى شعرائه " وتوفيق الحكيم وأحمد أمين كلاهما له رأي في وظيفة الأدب والأدباء ، وكلاهما تحمّس لرأيه .

## بين أحمد أمين وتوفيق الحكيم :

ففي مساجلة شهيرة جرت بين هذين الكاتبين في مجلتي (الثقافة) و (الرسالة) حول (مستقبل الأدب العربي) حيث بدأها أحمد أمين في مجلة الثقافة بنشر مقالات في هذا الشأن . (3) دعا فيها إلى إنشاء أدب جديد يخدم (الأخلاقيات) وينحو منحى اجتماعياً متميزاً . وجاء في ردّ أحمد أمين في بداية (المساجلة) يقول : " أول واجب على الأدب العربي في نظري أن يتعرّف الحياة الجديدة للأمة العربية ويقودها ، ويجد في إصلاح عيوبها ، ويرسم لها مثلها الأعلى ويستحدثها للسّير إليه.. " (4)

ويهاجم توفيق الحكيم هذه الدعوة بقوله : " الفنّان حرّ أو لا يكون ولست مطالباً بأن ترسم له الطريق " ويقول في شأن جوهر الأدب : " إنّ مطامع النّاس شامت زن تمتدّ أيديها الفانية إلى هذا الجوهر السّامي لتستخره في شؤون الأرض ، فرائنا الشعر والأدب يتجهان إلى غايات نفعيّة فاستخدم الشعر أحياناً مدح الملوك والأمراء من أجل المال والثّراء ، أو لنشر الدعوة في الدين والسّياسة من أجل الثّواب والجزاء ، ولكن (كلمة الفن) هي العليا دائماً " . (5)

فهذه عينّة من معاركنا الأدبيّة في الماضي ، وجرت في سنوات كان النّضال السّياسي ديدن العرب ومحور (القضيّة العربيّة) .  
ويقيني أنّ جلّ أدباء تلك الفترة - وحتى فيما بعدها - تابعوا هذه المعركة



وألوانا أخرى من معارك متشابهة .  
الكلمة .. والقضية الوطنية :

ولنشر إلى دور (الكلمة) في تونس ، ونعني بها تلك الأجناس الأدبية التي تتمحور في (النص الإبداعي) ويوحى بعضه بالتركيز وأحياناً بالتلميح أو الإيحاء أو الإشارة البعيدة .. قلت كان هذا (النص) في مجمله خير معبر عن الخصائص الذاتية وعن (الحلم) أيضاً .

وكان (الشعر) خاصة يشكل (المقولة) الصادرة المعبرة عن المطامح ، وفاعلاً في رسم صور المعاناة ؛ حيث رافق معظم مراحل الحركة الوطنية وكان دائماً من ثوابت التعبير إلى الأفضل وسمة شكلت أنماط التلاحم حول الواقع التونسي وجوهر القضايا الشعبية العادلة .

وإذا ما كنّا عايشنا جبلي (الخمسينات والستينات) ، وتعرفنا على شواغل الأدباء والمفكرين وقتئذ ، وتعلمنا من ظلال الحياة الاجتماعية وأثرت فيها ، (البيئة العربية) بكل ثقلها ، وبما حف فيها من موجات وإيهامات ، واستلهمنا من تراث الأدباء والمفكرين التونسيين وغيرهم وتناقشنا في جوهر الرغبة للوصول إلى الهدف والحلم ، وتأثرنا بما كان يكتب في (الصباح) و (الزيتونة) و (الندوة) و (الفكر) و (الأديب) و (الآداب) و (الرسالة الجديدة) وغيرها .. قلت إذا ما كنّا تأثرنا بكل هذا فالوفاء لهذه الأرض يستوجب منا : أن نقول : إن أدباءنا وشعراءنا في تونس كانوا في الموعد مع (الأخلاقيات) ومع (الكلمة الصادرة) المعبرة عن الهموم والمشكلات ، وكانوا في نفس الوقت مبهورين بتاريخنا الشامخ ، تاريخ (قرطاج) و (صنهاجة المعز) وأمجاد بنو حفص وسواهم .

لذا قد يكون مغلاً بأن لا نقول : إن (الكلمة) و (المقولة) صاغت أنبل المشاعر ، وحفزت للوعي البشري .. و (الشعر) بالذات كان هزة مؤثرة (6) فك عقلة التقليد ، وقاد إلى معاناة مشكلات الغير ، على الرغم من كونه لم يتخلص من القيود أو يتخفف منها ، ورأينا أمثلة حيّة من هؤلاء الشعراء الشجعان أمثال : أبو القاسم الشابي ، والطاهر الحداد ، ومصطفى خريف ، ومحمد العروسي المطوي ، ومحسن بن حميدة ، ومحمد العربي صمادح ، ومصطفى الحبيب البحري ، وعمر

السَّعِيدِي ونور الدين صَمُود ، ومنوّر صمّادح ، ومحمد أحمد القابسي ، والبشير المشرقي ، وشعراء آخرين أيضا .. (7) فهؤلاء وأمثالهم أعطوا العطاءات الوافرة في مجال جودة القصيدة الصادقة وتحديد أسسها وإبراز الشّكل الذي يضفي أو يريد أن يضفي بدوره تجديدا على المضمون الذي تحمل كلماته الفكر النّير والخيال الخلّاب الذي تنجذب له النفوس ، ويغري أيضا بالعلاقة الجدلية الخالدة بين اللّغة والشّعر وبما توحى به القوافي المتولّفة ، والصور الفنيّة الزّاهية في محاولات الإنطلاق نحو مجال الشّعر العربي المتكامل الذي عبّر الصحاري " وتقلب في نعماء حضارات مترقّقة ، وشرق وغرب ، وطمح في كلّ حالاته إلى أن يكون جديدا أو متجدّدا ، مشيرا للإهتمام ، سواء منه ما جعل من الصورة الشعريّة المحسوسة ، أو المجردة الموحية ضمن الإدراك أو التّوهّم سبيلا إلى المشاعر وما ألحّ على الحكمة فلازمها رزينا رصينا وما تعلّق بأذيال المديح وجرى وراءه طويلا لاهشا مكدودا وما نظر إلى نفسه فأعجبه منها نسب أو شجاعة أو ما عرته تنويات من الأسى الغائم وهو يقف على الأطلال ويستعيد ذكرى الأحبة المترحلين ، وما اتّخذ الثورة والثّقمة والإنترقام مجالا كصّيحات أولئك الفرسان والصّفايا والغاضبين ، وما طمح إلى أن يرمي النّظر وراء تلك العيوب المحجبة المغربة بأسرارها الرّهيبة وما اتّخذ له مذهبا في الحياة يناضل عنه ويعاني في سبيله ويتعرّض للمخاطر وينأى عن المغامرات .. الخ" (8) .

### الشّعر التّونسي .. وطرح الأسئلة :

وإذا ما كان (أدونيس) في ( الثّابت والمتحوّل ) وبالحصوص في جزئه الثّالث ( صدمة الحداثة ) يشير إلى الكثير من القضايا الشعريّة ؛ حيث قسم الحداثة إلى ثلاثة أنواع : الحداثة العلميّة ، وحداثة التّغييرات : (الثّوريّة والإقتصاديّة ، والإجتماعيّة والسياسيّة) والحداثة الفنيّة ؛ لكنّ أدونيس نفسه يقرّ بأنّ مستويات الحداثة بأنواعها الثلاثة تشترك في رؤيا جديدة وهي (رؤيا تساؤل واحتجاج .. تساؤل حول الممكن واحتجاج على السّائد ) (9) .

إذن .. فنحن أمام قضيّة شائكة .. لكن ترى هل تعامل الشعراء التّونسيّون مع الحداثة أو وقفوا ضدها أو التزموا الحياد ؟ ..

في رأيي أنَّ الكثير من الأسئلة يمكن أن تطرح حول هذه القضية .. ذلك بأننا إذا ما سلمنا بأنَّ الحداثة هي : موقف رؤيا ، وتشكيل وحساسية فإنَّ كلَّ هذا نجد في ظواهر إبداعنا .. و(التراث) في رأيي لم يكن تركة جامدة ، ولكنَّ حياة متجددة .. والماضي لا يحيا إلا في الحاضر ، و(القصيدة ذات القيمة) هي (القصيدة) التي يمكن لها أن تعيش على هامش التاريخ وعلى هامش الحاضر أيضا .

ولذا ، كان الزعم بأنَّ فكرة الالتزام في الأدب هي وليدة عصرنا هي فكرة خاطئة ، فالفنُّ الهادف لم يولد مع الماركسية وكلمة الالتزام لم تظهر مع سارتر ، لأنَّ التاريخ معرض شامل للصراع بين الفنِّ والأبنية الإجتماعية (10) والدينية وهو صراع يحاول فيه الفنُّ أن يثبت وجوده الأصيل وتحاول فيه الأبنية أن تثبت سيطرتها على الفنِّ .

هكذا كان الصراع دائما وفي ظلِّه تتبَّعنا معركة الحياة وفلسفاتها المتناقضة في معالجات الشعراء التُّونسيين ، والواقع أثبت أنَّ قصيدة الشعر في تونس :

\* لم تنعزل عن الواقع الشعبي وأنَّ مضامينها لم تنفصل عن (الوطن) وعن دائرة الإنسان فيه ، والأمثلة كثيرة تجددها في شعر : خزندار ، وصمود ، وماجد ، واللِّغماني ونعمان والمشرقي ورزوقة وسوف عبيد ومون صمادح وعزالدين الشابي والبشير التلمودي وسواهم .

<http://Archivebeta.Sakhr.it>

\* والقصيدة التزمت بالحيرة ، والسؤال والقلق ، وراحت عن أتواق الإنسان وجمعت عناصر (المعاصرة) العربية ذات المدلول الإنساني الشامل .

\* كما رفضت أن تسير في المطلق ، وأكدت على الجماليات ، ورفضت أن تنفصل عن الحدث اليومي (قصائد مازيغ والهادي نعمان واللِّغماني وعبد الله مالك القاسمي) كما التزم بعضهم بالشعر الحر الذي ترجع بداياته في تونس إلى سنة 1945 حينما بدأ محمد العروسي المطوي ينضمُّ فيه (11) .

\* وقصيدة الشعر التُّونسي أثبتت هذا الحضور الجماهيري في سفر التحولات ، وواجهت (الأخر) في رحلة التعارض وفي تحديد الأفق الدلالي للهوية .

وأصبحت منذ الخمسينات حضن الفلاحين الفقراء ، وحضن العمال سيفنا ونشيدا ، والأمثلة في ذلك كثيرة في شعر المطوي ، ومصطفى الحبيب البحري ، ومحسن بن حميدة والقائمة تطول ..

كما عبّرت عن وجدان الأمة وضميرها الفنّي ، وأثرت ثوابت الشخصية القومية ، وباركت كفاح الأبطال في معارك التحرير والتحدّي .

### تجليات في الشعر العربي المعاصر :

وإذا ما قيل قديما عن الشعر والشعراء على سبيل المداعبة :

الشعر في الزمان أربعة

فواحد يجري ولا يجري معه

وواحد يخوض وسط المعمعة

وواحد لا تشتهي أن تسمعه

وواحد لا تستحي أن تصغه

قلت : إذا ما قيل عن الشاعر والشعر كهذا ، فإنه لا بأس أن ندرك أن الشاعر ليس كغيره من الناس ، فهو شخصية متميزة بحساسيتها أمام المواقف والأشياء وكثيرا ما يكون في حيرة وتاريخ الأدب العربي حفظ لنا العديد من أوجه الحيرة لدى الشعراء ومن ضمنهم شعراء تونسيون .

وإذا ما كان العقائد اجتهاد - وسرعة وعصبية - في أن ينكر دور شوقي في الجديد ، وفنّد فكرة التزام هذا الشاعر لقضايا شعبه لأنه لم يكتب حرفا ينهي إلى المناذرة بـ (لقمة الحيز) للفقير فإن الدكتور إحسان عباس كان أكثر إنصافا وأكثر عمقا في فهمه لجوهر الإلتزام ، حينما أكّد المرات العديدة : (إن درجات الإلتزام متفاوتة) ولم يكن قط درجة واحدة .

ومن هنا جاء التزام عبد الوهاب البيّاتي بـ (الإتجاه الواقعي في الفن) .. إنه لم يتردّد لكي يضعنا في ديوانه (الفقر والثروة) أمام صورتين لمأساة (البطل الملتزم) في قصيدته : (محنة أبي العلاء) و (عذاب الحلاج) .

وفي المقابل كان (السيّاب) يبدع فنّا رائقا بعد قصيدته : (حفار القبور) ، و (الموسم العمياء) وقبل أن يتفرّغ لعقدته (عقدة المدينة) وهو الذي قال عنها :

لا لئن أعود لمن أعود وقريتي أمست مدينته ؟

وإذا ما كان بدر شاكر السيّاب أسرف قليلا حينما استخدم رموزا معيّنة حتّى نتنا ندرك ما سوف ينطوي عليه القصيد قبل قراءته ، فإننا لا نجد مثل هذه التجربة الخائفة من قصائد جلّ الشعراء التونسيين المعاصرين التي تتّجه في

البداية إلى الصور المنتقاة ، وإلى الرؤيا والحلم المتحرك .. والأمثلة في ذلك عديدة ... وخذ مثلاً قصائد (الهادي نعمان ، وعلي شلفوح والميداني بن صالح ومنور صمادح .

..إن المتابع المتأني في دواوين منور صمادح مثلاً كـ (الفردوس المغتصب) و (فجر الحياة) و (صرع ) و (السلام على الجزائر) يستوقفه ذلك الإسراف في قضايا اجتماعية عديدة ، وذلك المستوى الجمالي والفكري ، والتراكيب التي يصنع منها جوهر الشعر وأعني بها قضية الصورة الفنية بكل مشكلاتها المعقدة .

وبالإضافة إلى هذا فأنني أعتبر شخصياً أن منور صمادح ، هو شاعر وصاحب مشروع مشروح ومفصل أبان عنه في جملة أعماله ، فهو مثلاً في خطابه (إلى القارئ) في (حرب على الجوع) يعلن قائلاً: "نحن متفقون على أن الإنسان من واجبه ومن حقه أن ينشد وحدة الإحساس وأن يعمل في سبيل الإتحاد الإنساني الذي يصل النفوس المتناثرة ويوحد الأرواح المتفرقة قبل الأجساد المادية وقبل الأفكار ، وقبل العقول ، إذ أن هذه كلها تحت سلطان واحد هو الإحساس .." (12) .

ويدعو منور صمادح في كتابه هذه (13) التونسيين لكي يقضوا على الفقر قائلاً : " إن وجود الفقر في تونس معناه أننا معشر التونسيين قد حكمنا على أنفسنا لا بالشقاء ، والشقاء نتيجة لتفككنا بالثورة الاجتماعية الذي ينجم عنه الإنحلال بجميع أنواعه العقلي والأخلاقي والديني والإنساني " .

ويخاطب منور صمادح شعبه قائلاً وتحت عنوان : (وآرحمة بالمهملين) :

وآرحمة بالمهملين	وآرحمة بالمعوزين
حق لهم في مالنا	أنظّل عنهم غافلين؟..
فلقد خسرنا إن تر	كناهم جياعا جاهلين
الجوع يحملهم على	فعل الخطيئة مرغمين
والجهل يدفعهم إلى	هول الرذيلة طائعين

يرضون عيش الساقطين

لا يفقهون

وآرحمة بالمهملين

وهكذا يلتقي منور صمادح في نداءاته للأخذ بيد الضعفاء مع محمد

المهدي الجواهري صاحب الصوت المميز المدوّي المشير في العديد من القصائد ، حيث شكّل معه الممرات الإستراتيجية للخروج بالعرب من مذلة الفقر والجوع والمرض . وعلى كل :

فمنهما تنوّعت المقولات في قضايا الشعر والإبداع يبقى الشاعر والمبدع عامّة ذلك الفنان الذي استيقظ في ضمير الشعب وأبى إلا أن يعبر عن المطامح والآمال ويتغنّى بالعدالة والحرية والقيم الثابتة .

ويظلّ الشعر دائما هو (السلطة الذهنية) وإن اختلفت حوله الآراء .

أمّا (القصيد الحسن) ، فهو الذي يعكس ظواهر التحدي ويشير إلى الواقع والممكن والمفترض ويعني بما هو مطروح في المكان والزمان ..

والشاعر عليه أن يحفل بثوابت الشعر وفي مقدّماتها (الإيقاع الشعري )

لكن يضلّ الشعر على الدوام يحفز ويشير والمقول المشوّق الذي ينقل صدق الواقع وحرارة الصدق .



ARCHIVE

<http://Archivebeta.sakhrif.com>

- الهوامش :
- 1 - انظر كتاب مختارات من الشعر العربي المعاصر . ودع فلسطين ط القاهرة 1995 ص9
  - 2 - مجلة البيان : الكريمية العدد 224 : نوفمبر 1984 ص 10 : دراسة د. سليمان الشطي .
  - 3 - راجع أعداد مجلة (الثقافة ) بتاريخ : 1944/4/14 و 18 و 1944/4/2 و 2 ماي 1944 وعددي مجلة الرسالة بتاريخ 4.10 / و 1944 4/24 .
  - 4 - انظر الثقافة عدد 275 بتاريخ 1944/4/14
  - 5 - انظر الرسالة بتاريخ 1944/4/10 ع 562
  - 6 - الشعر الحديث بين التقليد والتجديد: د. أحمد سليمان الأحمد ط تونس 1983 ص 110 .
  - 7 - انظر (رحلة في الشعر التونسي بعد أبي القاسم الشابي ) : رشيد الذواودي ط القاهرة 1995 ص 29 و 30 .
  - 8 - انظر (الشعر الحديث بين التقليد والتجديد ) ص 100 و 101
  - 9 - راجع (الحداثة في الشعر العربي المعاصر ) : محمد العبد حمود ط بيروت 1986 ص 63
  - 10 - المصدر السابق ص 223
  - 11 - (رحلة الشعر التونسي بعد أبي القاسم الشابي ) : رشيد الذواودي ص 27
  - 12 - حرب على الجوع : منور صمادح ط تونس 1955 ص 7
  - 13 - المصدر نفسه ص 8
  - 14 - المصدر نفسه ص 37

# قراءة في أشعار الشاعر التركي الكبير

ناظم حكمت \*

## ثورة لا تهدأ وتحرق لا ينتهي

بقلم : خالد رداوي

« ... بأية قامة نقارن قامته ؟ وأمام جراحه نشعل بخورا للجراح  
ونقدس العذاب ، لكننا نرتعد أمام عذاباته .. لقد كان ابنا لهذا القرن ،  
كان وجهها مشرقا ، مهجة ثائرة ويعدا في الصمود لا يدانى ..  
حنّا مينة  
« ناظم حكمت »



بتشكيل ناضج يحتوي وحشية الفضيحة المستلبة برعبها ، المتسلقة لذاكرة الابهام الذي  
يتحسس تيه الانفلاق ، تختنق ابتهالات الوطن طيف جنازة هربت من شقاء يحتوينا على جنون  
الخلخة ... تستوطن أغوار العتمة بطيئا ، تساقط من لباس أفئدة الهذيان الندى اللعين ، تتقاطر  
لغة صلعاء مشحونة بفاجعة لا تلين ، متورمة كمدامع الموتى ، متحرقة يحتوي وجعا فضيما  
للعالم ، تمتشق في تناسخ التيه الآتي .. المبعّد كليل مهول نحو حتفي .. كاللّزج المبعثر في ..  
كروح الغياب كضوء يلتهم الرّبع الأخير من الظلمة ، كموت يتلثم في حشجرة ... كان كالريّح ،  
كاندفاع الجراح يدفق متورم لا يهدأ بلغة الجمر تنقد ناضجة ، قصيدته الحمراء يحمي الفاجعة  
تندلى حول نافورة الحريق .. تلهث أمام شطوط الكتابة ...

منتهى عذابه المصفى فلق الرّعب ، ناظم حكمت ، تكاشف مداه ، خضاب لهفة الحنف ، جثث  
يقرؤها رغيّف البلاد

يكتب بدم اليباب ، برغيّف الفقراء ، بإقلام الموتى الجدد ، ولادة أول ثقائب يشرب النّفور  
من مداه القريب :

نرى الكون وقد اصطبغ بلون الدَّم  
تندرج القطرات الكبيرة الساخنة  
فوق وجناتنا النحاسية  
نحو قلوبنا !

الكون يضيق بتمتمات الأحياء .. يمضغ خرائبه المستوحشة ، هو نبع لا ينضب من التلاشي والتشوق  
المقيت ، يتعرى باحترق التجلي الموهوس بلحظة احتراقها يفتن الكون بالأنهاية التي تعانق  
الترهل والتقدم والتعاقب الموهوم بالتشكيل الملغ بالاختراق العتي .

الكون هو نبع . اللاتنهائي العميق  
للأحاسيس التي نحسها

الكون واسع / الكون عميق / الكون لا نهائي

حتمية يصدر بها ناظم في ترانيم مغبرة تننفس خارج مداراتها فتخلع الترتيب المقترف بجرم  
القول المنتشل بفن الامتداد الموشع بالاختتان الملسوع بعروق الابجدية في جسد المكاشفة ..

بأجسادنا نقتحم الظلام  
نشقه شقاً

كسفن تمخر العباب

هناك بحر يشاكل التسلل الهائل في بلى اللعنة الدقينة المخاتلة لأوجاعنا المشتعلة في وجه السماء  
الخؤون ، الكلمة معطرة بالاحتمالات والأمكنة تضطلع بأشد أدوارها خطورة  
يقول أرغون « الكلمة الانسانية الحقيقية ايقاعها يخرس الهليل »  
الكلمة الحرة تتدفق من عرقها المتسارع بإيقاعها المعذب المفرج الجيعي يقول ناظم حكمت :  
تضاعف جمال الحرية / وتضاعف جمال الأرض وخيالها وتغمتك

الحرية تبلغ الملا الأعلى تشرب من ألق المدى الآتي يقول ولیم بلیك « أنفخ في مزماري أعذب أنغام  
الحرية »

تنبّل أنغام الرعب الحتمي ، تنهّج عذاباتنا بمدارات الضيق في توهج الخلع المخضب لدماء  
المستحيل

يقول الشاعر الياباني : سايقسر هوشي

هذا الحزن يخنقني  
إن القمر هذه الليلة  
يبس . الكأبة  
فلحس بالدموع  
من عيني تنهمر

الكلمة عند ناظم حكمت تخلع الغمام يتما فيحمل جثة الوقائع الى فيزياء التحرق ، وكيمياء  
التشظي وسيمياء التلاشي إن حجم حزنه لا يقاس فاق معنى القياس وحجمه لقد ضرّجه الأسر  
المتلعثم في جسده الندي يقول الشاعر الأمريكي : روبنسون ..



إذا لم يكن هناك شيء ينتظر بعد الآن  
إذا كنا لا شيء مهما يكن الحال  
إذا ندرك ذلك نفيم الحياة ؟

» فنظم حكمت لا يهدأ ولا يستقر ولا يمل البحث كان قلقا موسوما يريد دائما أن يتخطى ما فعله << .

(2)

الشاعر التركي ناظم حكمت يكتب بحرقه مبعثرة / متوجعة / متوهجة بأناشيد المأسى  
المفرقة في تعاويذ التمزق ، النص يلوي ثروة التفجع المريع باليات طليقة / بهرولة الحنف  
الجحيمي المشحون بالانتقاد الحميم ، موسكو طرئ مريحة في تشكيل فضاء يشتعل تمرقا مبينا  
....

أحيانا

وأنا أصعد أمهات من القلب

تبدو حمراء كالدّم

أحلاف من اللفظ تتراص في كلمات مهووسة بالعناء المتورم في جرح يلبس أبهة الأزمنة المتراكمة  
في أرض تشاكل أرضا ، فكان شعره اشعاعا على الشعر الروسي الحديث ، فانساب شعره  
مهللا يفتقب بساحته الحمراء فربوس التناغم المرنم بالقتامة المندفعة نحو المطلق يقول الرائع  
ماياكوفسكي

ARCHIVE

http://Archivebeta.Sakhril.com

في عناء تمول إلى فجر  
وأنا محاصر ينقش المشهد اليومي  
قصائده تتلون بوجاع الكلام المعذب ، كهفة التفور في أزمنة التراكم يكتسي ومض الأقول  
نافعا في زممار موته الجميل يقول الشاعر الروسي فينوكورف << معنى الشعر هو نفس معنى  
الحياة >>

الشاعر ناظم حكمت ثائرا تتضاعف فيه الأوجاع الطازجة ، التواقة إلى نشوة العذاب المشبع  
بالكابة يقول اراكلى أبا شذري

مشبع بكابة خفيفة

لاقطف من الغاب فراولة

أيها العالم الأزلي المشرق انسجاما

عذابات ناظم حكمت مصارع العظماء ، بوح يتقد ، موت يخائل ملامح الفضيحة في داخل  
جراحاتنا الهاربة الى اشراقات نص يتجلد شاردا تحت جلد الموت الثائر يقول ناظم حكمت :  
نكتب الملائم للمقاهي العمالية .

والشعارات للرايات الحمراء

بحمرة الكلمات التي تكتب عن ملاحم الفقراء والعمال ينزف

دمع قلبه من أجل ثورة لا تهدأ في غمام دائم للقلوب المنكسرة المشحونة بالاندفاع المطارد لحمى

التفجع ال رهيب  
ألم يقل الاسكندر نفوبوفسكي  
أيها الموت الأحمق بفراغك الكبير  
تهددنا ولكننا  
أقسمنا أن نعيش بعد أجلك

إن إقامة ناظم حكمت فترة في موسكو أسكنته وجع البلاد وثورتها العارمة فكان شعره موزعا بين وطنه وهيجان الشعرية الروسية التي كان يلتحم بها كالتحامه بأرضها الحمراء الخارقة ... تجى قصائده معتلة ، بحب الفقراء يواخي هيام التراب ، وتلوي ذروة التفجع في إيقاع الأفق الذبيح الذي يملأ البقع الضيقة يتخاطف متسارعا نحو الحنف الرائع .

(3)

يقول ناظم حكمت عن شعره ... « أتطرق في كلامي إلى الغرام والسلام وإلى الثورة والموت وإلى الفرح والحزن وإلى الأمل والشقاء والبؤس .. فأتأ أريد لكل الأشياء التي تخص الانسان أن يتضمنها شعري إنني أريد أن يجد القارئ عندي تعبيراً عن كل مشاعر شعرية متنوعة ، تتلون بكل شيء ومع كل شيء ، يعانيه الانسان المخائل للمدى الآتي المجسم في ذروة تنكئ على وهن العدم والعالم المشحون بالخراب ... إن حدث الالتقاط المشهدي الذي تحتفي به الكلمة التي تخلق شقوقاً وانحداعات تنوب في الوطنية والعذاب والموت ... »

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

(1)

يقول ناظم حكمت : « إن جنور شعري تضرب عميقاً في تراب وطني ، غير أنني أردت أن استعمل بأخصائه إلى كل الأراضي »  
الوطنية تطالنا في قصائد ناظم ترشح ودا وصفاء ، تنفرد ملامح الكلمة عنده فيرسو على مدار الحب يخيظ ظل الورد المتفرد في عمق صدقه لحب الوطن وللكون .

أنت قيدي وحديثي  
أنت لحمي المحترق مثل ليلة صيفية عارية  
أنت بلادي

إن شعر ناظم موت من أجل حياة هادئة في وطن بهي ، ندّي بأحلام شعبه المنبجسة في صميم الوشائج العطرة المتلافة لزخات الروح العاشقة الطافحة بالحضور الوطني الحميم ، للوطن ذاكرة المدى حلم الصبي ترنمة تتوغل في غيبه الروح تنهض كلاماً طازجاً يحل بيننا :

أنت قررتي الأشد جمالاً وأنت مدينتي الأشد جمالاً وأما

أعني أنك وطني  
وأنا السائر إليك بخطى مستقيمة

الوطن فاعليته العارمة تجانحه نحو حبه الختمي وأرضه المنفرس في تربتها تشتهي عرق هواهم  
المدوي بدحر العدم ومجاهرة المستحيل .

يقول لوسيان ريباتيه :

**أيتها اللغة الثقيلة على البلد الذي يتكلم  
ويعرف من الفراميات أنه يعرف أن يحب  
لا تكسري لي سوى النور الأسود**

الوطن حدث في أشعار ناظم حكمت ، تراص لحب نزيحي الغرام وكأنه القاتل مع بول ايلوار  
« أحب من أجل الحبّ وسأمت حباً »  
وكانه أخذ بوصية طاغور ذات صبح مضمخ بالتحدّي والعنجهية الصادقة « أنهض أيها الشاعر  
وامنح الصوت لهذه الوجوه الشاحبة الخرساء المنهوكَة وأعط الأمل لهذه القلوب المنكسرة »

(ب)

إنّ عذاب الظلمة وظلمة العذاب تلمع في كف التهاالك والتخصب بجراحات لا تتدمل مندسة  
في فضيحتها الواقفة تنازل عريها المراوغ لذاكرة الفبطة الناضجة هو حوار بين الموت والاموت  
والحياة واللاحياة إنها تمزق بين مقاصل اللاموت واللاحياة يقول مالرو « حوار الانسان مع  
الفضاء والظلمات »

يقول ناظم حكمت :

**ARCHIVE**  
على العيون العمياء للليل المتجول في  
الطُرقات  
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الطُرقات

نظّارات سوداء

هكذا تتراحم تساقطات الشاعر على أرض سحيقة تحاول أن تفتح بها خلاء من الهول والرعب  
ليفجر العالم حباً من الكلمات ويتجلّى في صفاء الذاكرة فتنة ندبة تبلغ ذروتها « وقد عاد إلى  
السقوط على تراب مصيره الصلب » .

يتوارى تكتماً في كيان العذاب الممتشق بثلث الفبطة الفارغة التي تنوب في وجع التّواري في  
ذاكرة يفرسها جرم التحجب من الفرح المنساب في طلاقة المخيلة المرافقة كوردة تفازل عبيرها ،  
كتهد يلثم شفاه الندى كزخات ماء ترقص ثورة العظماء وكذلة الموت في حفر النص بدم يطبخ  
على نار التحديّ ، يقول غيفيك

سنبثي

سنصفى الخوف من الليل

سنضع نهاراً أكثر رافة

(ج)

يقول ناظم حكمت

الموتى ماتوا دون

أن يموتوا بل ماتوا

الموت ايقاع يخرس الحياة ، لأفق الذبح الرافع لأثقال الجنازة المتكسرة في قوامها المطل على صباح يمنح التعاويذ بذورا مغروقة في الانتقاد الفاجعي يؤرخ للإيقاع الجحيمي المسكون بالمأسى / المكتنز بالورم / المشحون بأقاصي السؤال يقول الشاعر الألماني كارل كرولو :

ما كان عرضة للموت

يحلو حمله إلى القبر

إذا كان الصيد بغير حدود

أنهم يطلقون نار البنادق

على سلام مختبئ

يتخاطف الموت سحر العثار ، تموت أحلام الطفولة ( روح التيممة / سكر القرنفل ) الموت ضفاف تجمع المعذبين على ضفاف رؤاه المحمولة برهبة تنام دون موت وتكتب على قلبه المتعب آخر نصوص القتل المكتشف لتتأوب الفاجعة المسترقة لسعادة الآتي . الموت يمزق حشرجته بوحشية تتصلب ببلاهة العراق المكبى بسلاسل الحياة الموت متختم باستحالة الممكن لأنه ينبض حباً للحياة !!

(4)

تجئ قصائد حكمت من بساطتها الأولى تمضي إلى الاستبانت الجارحة فيتقن الشاعر أبجدية مطمئنة توشك أن تهرب من التعقيم والقموض ، لكن بافع الكتابة يوشحه نزفا رائعا يتناثر من ريش الاسيجة المتهجبة ..

ناظم حكمت شقي بالكلمات يطمئن لرهبة الربيع ويفغص نزالا من أجل الحياة بدفق فاجعي فيكون الشعر سجالا لا يبدأ وقتالا مع البؤس ضده ، متجليا في نواميس الغبطة المحتفية بضياء الحرية يقول ناظم حكمت « لتفلق الأبواب ، الأبواب القائمة ، على بيوت الآخرين ، لتطلق إلى الأبد ، وليكف الناس عن كونهم ، عبيد الناس ... هذا النداء ، ندأونا ...

الكتابة عنده تشاكل العذاب والردي ، تنهل من شفافية الياسمين ومراقبة الضوء المجرح بخيوط الحرير والمستغرق في مكاشفة تخوض غمار الرهبة في ملكوت المرارة يقول أرغون « أخذت نصيبي من المرارة وحملت حظي من الشقاء »

العذاب / المرارة . الانتقاد المربع للفاجعة / ثورة المحبين / النضال من أجل الحرية / الحب حتى الموت . الموت حتى الحياة / الكتابة البدء يقول الرائع : باسترنك

يا للتعاسة : الكتابة هذاب ..

ولكنني أتمالك نفسي من الاسترسال

(5)

نص ناظم حكمت ، نص للانسانية قاطبة ، يزاحم نفسه شعرا / بوحا / صمعا / شوقا إلى البدايات والنهايات المؤسسة لألفة الولادة العسيرة والبدء ، لقد كتب من أجل حزن أقل في العالم وحب أشد تعلقا بشغافية المشعة ، ويوجد محمود بروعته الطفولية الرائعة التي تلونت بطابعه وحباً لوطنه تركيا وتعلقه بتراته الشعري والشعر السوفيياتي والاروبي الحديث وتلونه مع جميع الأغراض المتشاكلة في نص صادق رائع شفاف هي انتاج لشاعر كبير تهرب اليه أهواء الوطن والحب والعذاب والموت والثورة فيحتضنها ويحتويها في لفة قدت من ماء مراهق ومن نار صلدة موحشة ومن صدقه ترسم نصف ابتسامة على شفاه الأتراك في القرن العشرين يقول : أن أنام الآن ، أنهض بعد مائة عام ، يا حبيبيتي كلاً ... ، لست بهارب من الحياة وبعد فإن عصري لا يخيفني ، عصري البائس الشائن عصري الشجاع العظيم والبطولي ! ، إنني لم أتأسف لكوني جئت العالم باكراً ، إنني ابن القرن العشرين ... وأنا فخور بذلك ...

وناظم حكمت ثورة لا تهدأ و تحرق لا ينتهي. حبٌ إلى البدايات ، وانبعث من الفاجعة ، تفجر من الأرض الأم ، ماء شعرياً زلالاً ، لتخضر فجر الحياة ساطعاً ورؤية بكراً ..

آخر الكلام دفقة إحساس مرعب جميل

يقول :



تعرف كيف نعيش معا ؟

وكيف نعيش معا ؟

وكيف نموت معا ؟

كلنا من أجل واحد

وأحدنا من أجلنا جميعاً <http://Archivebeta.Sakhr.it.ca>

#### الإحصائيات :

\* ناظم حكمت >> الأعمال الشعرية الكاملة الجزء الأول / الثاني / الثالث / الرابع /

الخامس والسادس ترجمة فاضل لقمان .

\* ناظم حكمت ثائرا - حنامينة -

\* الشعر العالمي - سليم مكرزل ص 306 - 307 - 308 ناظم حكمت

— (\*) — ناظم حكمت : شاعر تركي ولد في اسطنبول عام 1902 ، ينتسب الى عائلة عريقة

هاجم الحكم البريطاني ، وهو في الثامنة عشرة من عمره ، لأن ذلك الحكم يضطهد وطنه فهاجمه البريطانيون وطاردوه ، كتب الشاعر في الصحف والمجلات ، باسم مستعار « أورخان سليم »

وعمل بالمطابع والاستديوهات ، ليكسب عيشه . أجمل نتاجه وأروع ما كتبه في السجن (10

دواوين شعرية ، وثلاث مسرحيات ) ، وله قصائد متفرقة ساخرة . يعتبر ناظم حكمت من أبرز

الشعراء الأتراك ، لا بل الذين يمثلون المدرسة الواقعية الاشتراكية ، في القرن العشرين هو

شاعر النضال والثورة والحب والموت والحياة .

# الأرض في ديوان منصف الوهايبى

"من البحر تأتي الجبال"  
قلق الرّوح / وجع المكان .

بقلم : فوزية العلوي

لعلني أسأت فهم موضوع هذا اللقاء ، أو لعلني أردت أن أسيء الفهم . وبين أن أفهم وأن أسيء الفهم مسافة شاسعة من حرية التأويل والتضمن أنفهم فأتوقع حتما في قراءة عليها تكون أحادية ومتفق عليها أم أسيء الفهم فتنبسط أمامي سبل شتى تعطي القراءة رونق الجموح وعذوبة العصفان .

الأرض في الشعر التونسي الحديث :  
ألا يكون لفظ "الأرض" في مقاربة أولى حثوا للوطن فإذا الأرض هي الأم / الهوية / التاريخ في تقاطيع ذاكرتنا .

قراءة كهذه لها وجهاتها ولا شك فهي كثيرا ما تقترب في الأذهان ويحكم ما ألفناه في الدراسات بالاستعمار والإضطهاد والغضب ومحاولة المسح والتدخين والتغريب . فكأننا لا نتحدث عن الأرض إلا إذا كانت في وضع عصيب وهي مستهدفة بالابتزاز والتشويه والطمس .

من هذا المنطلق ازدهر الحديث عن الأرض في أشعار الممارات المحرقة والأقطار المتوهجة يكفي أن نذكر شعر المقاومة في فلسطين ولبنان وإسبانيا والشيلي وجنوب إفريقيا وغيرها من المناطق التي تعاني هيمنة ما .

---

ملاحظة : قدمت هذه المداخلة في الدورة الثانية لحيسة علي بن غدامم للشعر الحديث وموضوعها "الأرض في الشعر التونسي الحديث " جديان / مارس 97 .

وقديما لم نتحدث في الشعر العربي عن حنين إلى الأوطان وراثا للبلدان إلا عندما نكبت أوطان وتفرق خلآن . فلم يكتب ابن حمديس الصقلي شعرا يتحدث فيه عن الأرض إلا بعد أن تاهت معالم صقليّة وأقل نخبها واستعابها النورمان . وأبو البقاء الرندي رثى الأندلس عندما نكب فيها المسلمون وغدت حصونا نصرانيّة كذا فعل ابن رشيق القيروانيّ وعلي الحصري مع القيروان بعد أن دمرتها جحافل الأعراب من بني هلال وكذا كان أمر المشاركة مع بغداد إثر الهجوم التتري .

وإن نحن عدنا إلى الشعر التونسي ألفينا هذا المفهوم بينا في أشعار أبي القاسم الشابي التي توزعت بين مواضيع وجدانيّة تأملية هي صدى لنفس مرهفة أحسّت باكرا بوقر الوجود ، وأخرى خصّصت للتغنّي بالأرض والتحرّس على ما انتابها من ويلات وسعى فيها الشاعر إلى إذكاء روح العزم في النفوس حتّى تهبّ لتحرير الأرض من غضب المستعمر . لكنّي أردت لقراءتي هذه أن تفرّ عن هذا التوجّه ولو قليلا . لأنّ الموضوع مكرور ؟ ربما ، أم لأنّ حضور الأرض بهذا التصوّر يكاد يكون مقصورا على الأشعار التي قيلت إبان الإستعمار ، وتحول الأمر بعد ذلك ليصير في كثير من الأحيان ممهدا للأرض وإشادة بالبطولات التي حرّرتها ، وزوغى عن القراءة بهذا المفهوم له ما يبرره في الواقع . لأنّ عنوان الندوة بقدر ما يوهم بالقييد فهو في الواقع يطلق العنان لقراءات شتى وتخمينات لا حصر لها .

إنّ موضوع الأرض أوسع من أن نأسره في خانة واحدة . فالأرض في معناها الأوّل هي التشكّل الفيزيائي لهذا العالم . وهي ما نشاهد في رقعة ما من هذا الكون المادّي جبالا ووديانا وأبحارا وأشجارا وحيوانا إلى غير ذلك من حضور الطبيعة لهذا يتغنّى كلّ شاعر بما رأى وعاش وألف من مظاهر الطبيعة . لكن الأرض ليست هذا فقط وإلا كان التعلّق يكون بأيّ أرض نرتادها ونأنس فيها راحقوجمالا . وإنّما يقترن مفهوم الأرض بمفهوم التعلّق والتعلّق لا يكون بمساحة من الأرض خرساء . إنّما يتداخل مع الإحساس بجملة من العناصر الأخرى التي تقترن

بهذه الأرض وتؤثثها وتعطيها التَّبْض والحياة ، من ذلك العلاقات التي نبنيها مع هذه الأرض بما فيها النَّاس ولكن أيَّ ناس ؟ إنَّهم أولئك الذين نحَبُّ وبهم نرتبط وتنعقد بيننا وبينهم أواصر شتَّى كالإرث الوجداني والنَّفسي والثقافي والدَّموي واللُّغوي ولعلَّ هذه العوامل مجمَّعة هي التي تعطي للأرض معنى فيعشق بمقتضاها كلُّ إنسان أرضه ويضحِّي من أجلها بقطع النظر عن جمالها أو رخائها فالوكر وكر وحتى ولو كان من بابس الحطب .

لهذا يظلُّ العود إلى الأرض أُمّية بالنسبة إلى المغترب فاذا عزَّ لقاءها في الحياة تمَنَّى السَّبات في جوفها ، ألم تُنقل مئات الرِّكات من مدافنها الغربية لتواصل تحللها في أرضها المنبت إلى أن تختلط بذراتها وتذوب فيها .

لكنَّ الأرض قد تنأى عن هذا المفهوم لتأخذ بعدا قلَّقا هو أقرب ما يكون إلى التأمل الفلسفي إذ يصبح المكان مبعثا للشَّعور بقلق الوجود . حتَّى وإن كان المكان المعني يبقى موسوما بعلامه الثقافية والحضارية .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

في هذا الإطار حاولت أن أقرأ مجموعة "من البحر تأتي الجبال" للشَّاعر منصف الوهابي وأن أبحث عن تجلِّيات الأرض فيها وهو مسلك تشعَّب بي وقد خلته سيرا وذلك لثراء الدلالات واكتناز الرُّموز . لكنني حاولت أن أطوِّقه تطويقا أرجو أن لا يكون مغلا .

لا يخفى أنَّ الأرض حاضرة في العنوان بطريقة ما / فنحن إزاء عنصرين من العناصر التي تشكِّل الحضور المادِّي للأرض . لكنَّهما يحضران بطريقة غريبة ، بنوع من العلاقات التي تكسِّر المألوف . فالمألوف أنَّ البحر هو الذي يأتي من الجبال . لكننا إزاء صورة معكوسة تصير بمقتضاها الجبال نابعة من البحر كأنَّما يؤكِّد الشَّاعر بذلك كسره للمفاهيم العاديةٍ ويعلمن عن جبال بركانيَّة صاعدة من قعر البحر / الذات معلنا بذلك عن هذا الإحتدام الشَّعري القلق الَّذي لمسناء



في المجموعة .

كيف تحضر الأرض في هذه المجموعة ؟ أهى الوطن بمفهومه التقليدي ؟ وهل أن هاجس الشاعر هو التغنى بهذا الوطن والإشادة به ؟ أم أن هموما أخرى ورؤى تنشئها ذاكرة الشاعر ومخيلته انطلاقاً من علاقته بالأرض ؟ تفتح المجموعة فتفاجأ بحديث الأبدال ، نصاً تراثياً صاحبه متصوف هو السهروردي المقتول أخذه الشاعر من كتاب الغربة الغريبة بانشاء صاحبه ، لكن الشاعر وضع له العنوان . وهو نص ما كان الشاعر ليستهل نصوصه به لو لم يجده مستجيباً لهمومه وهواجسه ولو لا أنه وظفه ليمثل نصف الدائرة التي احتوت أشعار هذه المجموعة إذ يبدأ بالقيروان مكاناً وبها ينتهي . وهذه الدائرة لا تدرك إلا إذا تأملنا المجموعة وأطلنا الوقوف عند النسق الشعري الذي انبنت عليه .

تحضر الأرض في هذا النص الصوفي الذي استحال بمنطق الإقتباس أو التضمين نصاً شعرياً من المجموعة "حبسا" خانقا لكنه قدر محترم لابد من الخضوع له بل إن إمكانية التحرر بالمعنى الصوفي هذه المرة لا تكون إلا فيه وبه .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

يقول السهروردي :

"عندما صعدت الجبل ورأيت أبي شيخاً طاعنا تكاد السماوات والأرض تنشق من تجلي نوره فبقيت باهتا ، متحيراً منه فسلمت عليه ثم بكيت أمامه وشكوت إليه من حبس القيروان إلا أن أبي ذكرني أنه لابد من العودة إلى الحبس الغربي ، ثم بشرني أنه بمستطاعي أن أصعد إلى جنته هيناً وأنتني سأتخلص يوماً من الأسر في بلاد الغرب . ورغم أن السهروردي وليس إفرقياً ولا قيروانياً ولكنه يحضر مرتبطاً بها . وهكذا يتخذ الوهابي من هذا النص الصوفي منفذاً تراثياً ثقافياً ليعقد الصلة بالأرض والحال أنه منها وفيها فالوهابي شاعر قيرواني يقطن القيروان ، لكن القيروان لا تحضر في هذه المجموعة مجرد مكان ينتمي إليه الشاعر وإنما تفرض عليه هيمنتها التراثية ورموزها الثقافية المفعمة بشذى التصوف وعبق الفكر وعثاق التاريخ .

تحضر الذّات متعبّة في هذا النّص من حبس الارض / المكان فيسافر الشّاعر من حبس القبروان / الماضي المائل في نصّ السّهروردي إلى القبروان الحاضر كما يراها الشّاعر ويعيشها مع الملاحظ أنّ المجموعة في قسم كبير منها سلسلة من الأراضي أو الأمكنة تبدو في ظاهرها نوعاً من التوثيق لأسفار الشّاعر ورحلاته ، لكنّها في باطنها محطات ثقافيّة ورؤى حضاريّة وتأمّلات وجوديّة وهي ما تحتفظ به الذاكرة القبروانيّة المغربيّة من مدن الشرق المؤسّطة .

يخرج الشّاعر كما أشرنا من أرض القبروان نصّاً ماضياً ، ضارباً في عمق التّاريخ ليلج القبروان/الحاضر ، لكنّه إذ يدخلها فهو لا يدخل بكر الفكر والوجدان ، إنّما يطأ أرضها القصيدة محمّلاً بكلّ أوزاره وسيطرة الصّحف الأولى والأخيرة التي قرأ . وهو إذ يعلن عنها اليوم فأنّما يرسمها بعين الشّاعر الكهل المفجوع بتغيّر المكان ، المتشوّق إلى الطفل الذي لم يكن شاعراً ولكنّه كان يستمرئ جمال القبروان ويلتذّ بكلّ طيب فيها .

تحضر القبروان الأرض الأولى في سلسلة المدن المعلّنة عنها وقد رأينا أنّ الشّاعر يخرج منها ليدخل إليها قدراً محتوماً وهو قدر الإلتصاف إلى الأرض وسلطانها وجبروتها وهو إذ يطوّقنا في أرجاء القبروان المكان فإنّه لم يستطع أن يتحرّر من سلطة القبروان المقروءة والمكتوبة أي تلك الصّورة الأدبيّة التي ارتسمت في ذاكرتنا الثقافيّة : مدينة الفتح والمساجد والكرامات والأضرحة ، مدينة المجاذيب والمتصوّفة مدينة الحضور والغياب ، مدينة الذاكرة التي لا تمحي ولو كانت أجداثاً ما بداخلها إلاّ العظام النّخرة .

قبروان الرّيح

إذ تسلخ لحم اللّيل

لاشيء سوى

ظلّ خفّاش على الوجه

سوى الطيرالذي يخفض جناحيه  
على شاهدة ... قل يا ابن غليون  
لماذا لم أعد أسمع  
إلا دودة تنغل في رث العظام ؟

لكنّ الشّاعر يتخلّص شيئا فشيئا من سطوة القبروان الأرض المغرقة في العراق  
التّاريخيّة ليدخل غورا في تفاصيل المكان وماهو إلّا داخل في تفاصيل ذاته وإذا  
بالقبروان تأتي مفعمة بكلّ أحلام الطّفولة وغوايات الصّبا ، تحضر ذكرا جميلة  
علّقت في نفس الصّبيّ الذي صار شاعرا وصار بعد الجذل الأوّل يعيش فجيرة  
الفقد ويخاف تبدّل تفاصيل المكان ، ويعد أن كان يلعب طريا في السّاحات ويلعب  
حلاوة التّوت صار مستوحشا وهو يبصر القبور وقد غطّاها العشب ويستفيق في  
ذاكرته المتعبّة طيف ابن غليون وابن مسرّة الأنديلس أيام كانا يعبران القبروان :



كان ليل يرافقنا  
إلى باب التّعيم  
أو هكذا سمّيته .

عينان من برد الحديقة هشتان  
وفي لساني منك طعم التّوت  
أيتها الصّغيرة ... كان سطح البيت  
أحمر ، كان وجه الفجر أحمر  
كان ماء التّوت يصيغ  
في خريف طفولتي الشرفات  
والسّاحات

ص 26/الدويان

لكن هذه الطّفولة الجميلة في أحضان المكان القبروان تفرّ كالشّهْب لتلتصق بين  
آن وآن كلّما داس الزّمن القلب ثمّ تعاود التّخفّي والهروب . والواقف  
عندالقصائد الأولى التي تنضوي تحت لافتة المدينة الأولى لا يفتأ يجد المكان

موسوما بصورة الطفل أو الصبي .

يا ثمرة علقت في غصن الطفوله

لم يبق غير الغصن منجردا

يا ثمرة أولى

ص 91/ الديوان

وقل للبئر في البستان أن تدعو صغيرتنا

لأجنحة السنونو أن تبلى طفولتي

بالماء .

ص 23/ الديوان

فجلست وحدي في الظلام

وكنت ضيفي

كان يشرب من يدي ويقول

سبحان الذي أسرى بهذا الطفل من وهم

إلى وهم

ص 29/ الديوان

هذه هي الأرض الأولى للقيروان ، تحضر في مخيلة الشاعر بكل سحرها

وفجيعتها ، ساحة أيام كان العمر غصا والزمان قلام ، لكنها مؤلمة أيام تحوّل

الطفل إلى كهل متعب واع بالزمن وبزحفه المضي وأيام صار واعيا بأوجاع

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الوجود يتردد صداها من جيل إلى جيل .

ثم تحضر أرض أخرى ليست بعيدة عن القيروان ، هي توزر الشابي . ولكن

أوّل مظهر من مظاهر الأرض يطالعنا هو القبر . وإذا نبهنا بالبكاء تتعالى ترثي

الشاعر الفقيد :

خضرة فوق قبرك هذا الشتاء

خضرة في رؤوس النخيل الجنوبيّ

تنصل في أفق من رماد .

لكن سرعان ما تسعف الذاكرة الشاعر فاذا المكان تتغيّر ملامحه في رمقة عين

وإذا الشاعر المنشد يفسح لخياله العنان فيذكر طفولة الشاعر المسجى في قبره .

بل لعله يتماهى معه ويدعوه من جدته أن يحلّ فيه حتّى يستحضر أمكنة الدهشة

الأولى .

أين أرجوحة الطفل أين ؟  
يتسامق والنخل  
أو يتحدّر أبعد من نقطة البدء  
أين المداد الذي كان يكتب أسماءنا ؟  
المداد الذي يكتب أشياءنا ؟  
الحروف التي تستدقّ  
إلى أن يشفّ المداد ؟  
كان في كلّ قطرة صمغ إله  
كان في كلّ لوحة طفل  
زخارف نبت ومنعرجات متناه .

المكان كما مضى هو وطن الرّوح فيه تعيش جذلها المسروق من الفردوس وفيه  
تنشر الطفولة أفياءها فإذا كل شيء ينبض بالبهاء والجمال . هكذا تعيش الأنا  
الشاعرة طفولتها عبر الأماكن الأولى لطفولة الشاعر الشابى وذلك لأنها وجدت  
تشابها كبيرا بين الطفولتين .  
لكن الأرض موعودة بالتحول والشاعرين موعودون أبداً بمأساة فقد المكان فيصبح  
بذلك معبراً عن ألم وجودي إنساني عميق ، مأتاه انفلات الأرض / الزّمان من  
بين أصابعنا ، وأمحاء ملامحها هو إيذان بأمحاء ملامحتنا وهذا الإحساس الفاجع  
بتغيّر المكان كنّا رصدناه أوّل ما رصدنا في المقدمات الطللية التي يبكي فيها  
الشاعر المكان / الزّمان / الإنسان .

ساحة وحشة  
ومنازل حمر مقرنصة  
يا لهذا الشّقاء  
كيف ياد هنا ؟  
لا جرار معبّاة في السّقيفة  
لا خبز في معجن الأم  
لا نار في بيتنا التّوزري

هكذا تنشرح الذات عن أرض وجهها الأول للحياة والثاني للموت ويمتلئ الشاعر حزنا بأرضه وهو فيها . هذا الحزن مأتاه الشعور العميق بها والهدفه عليها ومخافة فقدّها وإن كان الفقد ليس بفعل فاعل خارجي كالمستعمر مثلاً إنما هو فقد يأخذ مفهومهما وجودياً عميقاً لأنّ الفاعل هو الزمن ولا شيء غيره . ثم يأخذ الشاعر أرضه فيه ويمضي مضى بحث ربّما أو فراراً أو طمعاً في لقاء بعض الملامح التي تأنس إليها الذات .

وتبدأ أراض أخرى في التجلي هي على التوالي :

فاس / صنعاء / الكاظمية / بغداد / البصرة / قرطبة / فلسطين / سراييفو .  
أمكنة زارها الشاعر ولا شك باعتبار أنّ هذه القصائد مؤرّخة ومنها ما توزعت كتابتها بين القبروان والمدينة التي زارها . لكن هذه الأمكنة تتجاوز مجرد دلالتها القريبة لتصبح رموزاً ثقافية مشقولة بتاريخ هو في وجدان الشاعر وذاكرته ومخزونه الثقافي أكثر مما هو موجود فيها . والملاحظ أنّ هذه الأمكنة لاتأسر الشاعر بحاضرها بقدر ما تسيبه بما فيها . فاذا الشاعر لا يرى فيها وجوها لاتأسر معاصرين له وإنما يرى أطيافاً لمتصوفة وشعراء ولا يرى حواضر حديثه تعيش زمنها الموضوعي ، إنما يراها مدناً ناطقة بالغزوات القديمة والفتوحات الغابرة والمساجد التي كانت تعجّ بحلقات الدرس .

يقول الوهابي في قصيدة : تلك فاس .

حين غادرت مولاي إدريس

عند العشي ،

سمعت حفيفا ورائي ...

فلم أتلفت

طينا سيقفو خطاي

لى جامع القروين

تبدو الكاظمية وبغداد للشاعر المغربي أماكن محاطة بالقداسة محفوفة بالأساطير  
ناطقة بالحكايا القديمة يضرب الشاعر في مغاليقها وألغازها ويستنتق أحجارها  
وأسوارها ومقامات أنمتها وأوليائها .

ها هي الكاظمية

تفتح للمغربي مغاليقها

كان خيط من الثور

يغلق ليل المقام

وأنا داخل في متاهاتها

ما الذي يتعقّبني في الظلام ؟

ص 47 / الديوان

وتطلع أرض البصرة بنخلها السامق ويقامة شاعرها السيّاب فإذا سيرة الأرض  
تتداخل مع سيرة الشاعر . وإذا الشاعر كما تماهى مع الشابي وأحسن بفجيئته  
يتماهى مع السيّاب وينبض بجرحه ، والجديد هنا أنّ الشاعر يلبس وجع الأرض  
كما يلبس وجع شاعر هنا باعتبار أنّ القصيدة كتبت سنة 1982 وبالتالي فثمة ما  
يشير إلى الحرب / طلق مدافع وإعوال أطفال ورثيث أكفان . ولعلّ الشعور بمأساة  
الأرض وأهلها يبدو أجلى في القصائد التي قيلت في فلسطين حيث ينتقل  
الشاعر من قلقه الوجودي في قصائد القيروان إلى قلقه القومي ليصبح شاعرا  
ملتزما بقضية أرض وشعب . لأنّ الأرض في قصائد فلسطين تعاني شيئا آخر  
الذي تعانيه أرض القيروان . فالشاعر في القيروان لا يشعر بأنّ الأرض مغتصبة  
أو تعيش قهرا خارجيا ، وإنّما تعيش قلق شاعرها بالمكان وفي المكان ، هذا  
الذي يبني من تفاصيل الحجارة في الأسوار ملحمة الإنسان المستهدف بجبروت  
الزمن وقسوته .

وهو قسم يبدو غريبا عن القسم الأوّل إذ خصّصه الشاعر للحديث عن جملة  
من الحيوانات كالحفّاش والجمل والسّلحفاة والقنفذ والأفعى والحرياء . وهي

عناصر لصيقة بالأرض مؤثثة لها في مستوى أول كبقية عناصر الطبيعة لكنها في المستوى الثاني تعد امتدادا للإنسان ووجهها من وجوه فهي بعض ظله ، والشاعر في كثير من هذه القصائد متماه معها ناطق على ألسنتها وجاعل إياها ناطقة بلسانه ولعل قصيدة حديث الجمل هي التي تهمنا أكثر باعتبار أن أرض القيروان تحضر فيها من جديد ، بكل ذلك الضياع وكل تلك الغربة اللذين عبر الشاعر عنهما في القصائد الأولى . والطريف الطريف أن الشاعر يتماهى مع الجمل رمزا للرحيل ورمزا للحضارة العربية أيضا . فهذا الجمل المشغل بأوزار شديدة طاف كل البلاد وخرج من أرض القيروان وطوف ببلدان عديدة وها هو يعود إلى أرضها مقودا بغريزته أوبحبه موجعا من غربته ، مجروحا جرحا غائرا في أعماق الكيان ... وها هي القيروان بشميم عرارها تفتح بواباتها لتستقبل هذا الجمل المتعب وها هي الدائرة التي أشرنا إليها في نص السهروردي تنغلق على الشاعر ، ألم نقل إنه بدأ بالقيروان وها هو ينتهي بها :

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وها هو بعد ثلاثين

قلب كليل ... وعينان معصوبتان

وها هو يمشي

إلى القيروان !

ويقول : لعل صليل حصي

ولعل شميم عرار

ويطرق بيتك

في مدلهم الظلام

ويظل يدور به

ويدور على نفسه

ثم تشغل أجفانه

وينام .

ص 77/الديوان



# قراءة في أقاصيص حسني لبيب

بقلم : رابع لطفي جمعه  
القاهرة

حسني لبيب أديب مصري متنوع الاهتمامات ، فهو كاتب قصة قصيرة ومترجم وكاتب مقال ودراسات أدبية وإن غلب على إنتاجه كتابة القصة القصيرة. وقد ظهرت له مجموعات قصصية نذكر منها حياة جديدة (سنة 1981) وأحدثكم عن نفسي (سنة 1985) وطائرات ورقية (سنة 1992) وكلمات حب في الدفتر (سنة 1993) ، كما ترجم لوليم سارويان مجموعتين من القصص إحداها سبعون ألف آشوري (سنة 1994) والأخرى ابن عمي ديكران (سنة 1994) . كما شارك مع آخرين في بعض الكتب الأدبية منها باقة حب ، دراسة أدبية (سنة 1988) ورستم كيلاني ، المحطات من حياته وأدبه (سنة 1980) وأدباء الجيل يتحدثون (سنة 1982) وقضايا الحداثة في الشعر والقصة القصيرة (سنة 1993) وقضايا في الأدب التونسي المعاصر (سنة 1994) وآفاق الفكر الإسلامي (سنة 1996) .

وقد كتبت عنه بعض الدراسات النقدية في بعض الكتب والدوريات نذكر منها كتاب الأديب التونسي المعروف الأستاذ رشيد الذواودي « أحاديث في الأدب » وكتاب « أدباء من مصر » للأستاذ الذواودي أيضا ، وكتاب الدكتور حسين علي محمد « جماليات القصة القصيرة » والدكتور أحمد زلط في كتابه « جماليات النص ، رؤية تحليلية ناقدة » .

كما نوقشت أعماله القصصية سنة 1990 بقصر الثقافة بكفر الزيات وفي رابطة الأدب الحديث بالقاهرة سنة 1992، 1996 وكان من بين المتحدثين في

هذه الرابطة الأستاذ الفاضل وديع فلسطين والدكتور سعد دعيبس وهو عضو اتحاد الكتاب بجمهورية مصر العربية وعضو برابطة الأدب الحديث ورابطة الأدب الإسلامي العالمية وعضو بجمعية أنصار حقوق الإنسان .

ومن هذه الإمامة السريعة يستطيع القارئ أن يتبين أن الأستاذ حسني لبیب أدیب وقصاص نشیط له اتجاهات متعددة وإسهامات أدبیة وفكریة متنوعة .  
ومما لا شك فیہ أن كتابة مقال عن قصاص مثله لا يمكن أن تستوعب جميع اتجاهاته الفكرية والأدبية أو تحيط بجميع مميزات وملامح عالمه القصصي ، ومن هنا فأننا سوف نقتصر في هذا المقال على الحديث عن بعض الملامح البارزة في كتاباته القصصية .

ولعل أول هذه الملامح أن تكون نزعة الواقعية التي تتسم بها مجموعات القصصية وهي واقعية مستمدة من الواقع المعاش والتجارب الشخصية .  
ومن إيماننا بأن الاتجاهات الفنية والمدارس الأدبية ليست في حقيقة الأمر إلا تقسيمات نقدية وتصنيفات منهجية يقوم بها النقاد من أجل الدراسة والتحليل والنقد ، لأن العمل الأدبي بطبيعته يأبى أن يسكن في قوالب محددة ويصب في أنماط معينة ولا يمكن أن يخضع لهذه التصنيفات التي قد تتسم بالتعسف أحيانا .  
نقول إذ مع إيماننا بذلك إلا أن القارئ لمجموعات حسني لبیب القصصية لا يخطئ تلك النزعة الواقعية التي تسري في العديد من أقاصيصه .

والواقعية كمذهب أو تيار . كما هو معروف . بدأت أساسا في الفلسفة ثم تسربت إلى الأدب ، ويقصد بها تقليد الواقع وتقديم صور تكاد تكون مطابقة له ، أي أن الأديب الواقعي يستقي مضمونه من الواقع المعاش بغض النظر عن إحساساته الشخصية تجاه هذا المضمون ، لأن مهمته تتركز في تقديم هذا الواقع إلى القارئ كما هو في موضوعية وحيدة تأمين . وقد ظل هذا المفهوم للواقعية منذ أواخر القرن الثامن عشر وخلال القرن التاسع عشر معيارا للنقد الأدبي في

فرنسا ، ثم تطوّرت الواقعيّة على أيدي كبار الروائيين من أمثال فلوير وأرنولد  
بنيت والأخوان جونكور وبلزاك واميل زولا وجي دي موباسان وغيرهم ، وأصبحت  
مهمّة الأدب عند هؤلاء الروائيين هي معالجة الأحداث الجارية والمعاصرة والحديث  
عن التقاليد والعادات التي تؤثّر في سلوك النّاس وتفكيرهم ، وعلى الأدب  
الواقعي أيضا أن يرصد التفاصيل الدقيقة للشخصيّات والمواقف والأماكن مهما  
تكن تافهة أو ذات ارتباط واه بالخط الأساسي للعمل الأدبي .

والإتّجاه الواقعي عند حسني لبّيب يعدّ من أبرز الملامح في أقاصيصه كما  
نلمس ذلك في مجموعتيه « حياة جديدة » أحدثكم عن نفسي » ، وبعض قصص  
مجموعة « طائرات ورقية » ، كما نجد في قصّة « دعوى نسب » من هذه  
المجموعة حديث عالّج المؤلّف فيها مشكلة الرّوتين والبيروقراطية مع موظّف  
السجلّ المدني ، وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الكاتب عالّج في هذه الأقصوصة أيضا  
موضوع شكوك الإبن في نسبه ، وهو موضوع طالما عالّجه كثير من كتّاب القصّة  
والمرح ، ولكن حسني لبّيب عالّجه بصورة عكسية وهي أن يشكّ الابن في نسبه  
إلى أمّه وليس إلى أبيه كما هو معروف عند هؤلاء الروائيين الكبار .

أمّا الملح الثاني في كتابات حسني لبّيب القصصيّة فهو أسلوب السرد التّقريبي  
في العديد من أقاصيصه ، ونضرب لذلك مثلا أقصوصة حكاية ورقة نقدية من  
مجموعة « كلمات حبّ في الدفتر » ، فهو يخبرنا بوقوع الحدث وربّما يفاجئنا به  
ولا يعمد إلى ترك الحدث ينمو ويتطوّر ، وهذا بالطبع أمر مفهوم لأنّ الأقصوصة لا  
تحتّم بداهة ترك الأحداث تنمو بالتدرّج نحو طبيعيا ، فهذا محلّه الرواية  
الطويلة لا القصّة القصيرة ، ومن هنا يتولّد لدى قارئ هذه الأقاصيص إحساس  
بأنّ أحداث القصّة تجري سريعا متلاحقة تلاحقا تلهث وراءه الأنفاس . ومن هنا  
أيضا يشعر القارئ بالانتقالات المفاجئة من حدث إلى آخر ، ومن موقف إلى آخر  
كما هو الشّأن في معظم أقاصيص مجموعة طائرات ورقية .

فهو إذا أراد أن يقول لنا مثلا إنّ فلانا من شخصيّات القصّة شخص ضعيف

الشخصية أو شخص مسالم أو مشاغب فأنه قد يصفه بهذه الصفات المباشرة  
التقريرية كما في قصة « أبو دومة » من مجموعة طائرات ورقية حيث يظالعنا  
منذ الكلمات الأولى بأنه رجل مرهوب الجانب مسموع الكلمة لقب بالمعلم وإن  
تعارف أهل الحي همسا بأنه فتوة عاطل لم يفلح في شي ، غير إثارة القلائل  
وإشعال المشاجرات .

ومما لا شك فيه أن انتهاج هذا الأسلوب السردى التقريرى مما يعيب الفن  
القصصى كما هو متعارف عليه . على أن هذا لا يقلل بطبيعة الحال من قدر تلك  
الأقاصيص .

أما المكان ووصفه والإحساس به فى أقاصيص حسنى لبىب فهو أيضا من  
الملامح البارزة فى تلك الأقاصيص . كما نجد فى أقصوصة « طائرات ورقية » التى  
أطلقت على المجموعة القصصية التى تحمل هذا العنوان ، فهو يتحدث فى هذه  
الأقصوصة عن عائلة تقضى وقتا على شاطئ البحر فى الصيف ، فيصف لنا  
الشاطئ وما يوج به من المستحىمين والأطفال والشماسى وما يحلق فى أجوانه من  
طائرات ورقية يلهو بها الأطفال والكبار أيضا . ويتحدث عن الجردل والمجاووف  
الذى يلهو به الأطفال على رمال الشاطئ ويتاء أهرامات من هذه الرمال ... الخ .  
كذلك أقصوصة حكاية ورقة نقدية من مجموعة كلمات حب فى الدفتر حيث تصف  
الورقة جميع الأماكن التى تنقلت فيها بعد أن تداولتها الأيادي وإحساساتها  
تجاه تلك الأماكن بحيث يجعل المؤلف مكان القصة قوة نافذة فعالة وجزءا  
أساسيا من البناء الهيكلى لها كما نجد فى روايات بعض الروائيين الواقعيين من  
أمثال دانيل ديفو مؤلف رواية روينسون كروزو وريتشارد سون فى رواية كلاريسا  
ويلزاك فى العديد من أقاصيصه فى الملهة الإنسانية .

كذلك تحدث حسنى لبىب فى بعض أقاصيصه عن الثقافات الطبقي الذى تعيشه  
بعض المجتمعات الشرقية ، وأبرز لنا التناقضات الإجتماعية بين هذه الطبقات كما  
نجد فى أقصوصة « اليوم خم » ، ولا يفوته أيضا الحديث عن معاناة بعض أفراد  
المجتمع فى سبيل السعى وراء الرزق وما يقاسونه من الآلام والغربة عن الأهل

والوطن والصَّبْر في طلب الرِّزْق ، كما نجد في أقصوصة « ابنتي ريهام »  
وأقصوصة « شبح النهاية » وأقصوصة « أول مشوار » من مجموعة طائرات ورقية

ومن الملامح البارزة أيضا في أقاصيص حسني لبیب استخدام الحوار بنوعيه  
الخارجي والداخلي ، وهو ظاهرة تنتظم العديد من أقاصيصه ، فقد استخدم الحوار  
الداخلي كأداة فنية كثر استخدامها في كتابة الرواية والأقاصيص المعاصرة ، ذلك  
أن الفن الروائي أو القصصي المعاصر اهتم بالشعور الداخلي والباطن واللاوعي عند  
الإنسان ولجأ إلى تصوير نشاط العقل الإنساني وإلى تمثيل الشعور الداخلي  
للشخصية بدلا من تصوير العالم الخارجي ، ومن هنا أفصح المجال للتحليل  
والتأمل والاستبطان وتصوير تيار الشعور داخل الإنسان ، ولعلّ جيمس جويس  
الكاتب الإيرلندي الشهير أن يكون أول من أدخل فن الحوار الداخلي في قصته  
الرائعة « يوليسيز » . فالمناجاة الباطنية هي الحديث الذي لا يقال ولا يسمع لأنه  
يجري بين الإنسان ونفسه ليفضي بما يجول في خاطره ويعبر عن حالته وأفكاره  
المكتومة ، فالإنسان عندما يقول هذا إنما يسجل خواطره وسوانح أفكاره .

وكان من الطبيعي أن يستعمل حسني لبیب أداة الحوار الداخلي لتعبير شخص  
أقاصيصه من خلال هذا الحوار عن كثير من الأحداث والمواقف وما تحبش به النفس  
من الأحاسيس والمشاعر مما لا يمكن التعبير عنه بالحوار العادي ، كما نجد في قصة  
الخاتم من مجموعة كلمات حب في الدفتر ، وقصة « فردوس » و « طريد العيون  
الزرقاء » و « رائحة الفل » من مجموعة طائرات ورقية وغيرها كثير من مجموعة  
حياة جديدة ومجموعة « أحدثكم عن نفسي » .

ويعود ...

فهذه بعض الملامح التي تبرز لنا بوضوح من خلال قراءتنا لمجموعة قصص الأستاذ  
حسني لبیب، وهي ملامح تؤكد لنا أنه من كتاب القصة القصيرة المجيدین، يقدم لنا  
الأفكار والمبادئ . كما يقول الأستاذ رشيد الذواكي في كتابه أدباء من مصر. في  
ممارسة شكلية مع اتفاق ضمني في التعامل مع الأسلوب الواقعي ... ومقدرة في  
الحبكة القصصية وإبراز العقدة واستخدام الومضة السريعة والإيجاز الحافظ .

# فنون تشكيلية : لوحات محمود قفصية - آداب على الألوان ... -

بقلم : منير بن يونس

قبل البدء :

تتزاخم الخطى .. تتشاكل .. تبحث عن بقاياها .. عن مدن تاهت معالمها ..  
واختلس بريق تجذرها .. تتجرّد المفردات .. تتناثر لغة الهدوء الشّائر .. صراخ  
يصعد من صمت الأسئلة ... لا أمانا للبراكين .. وإن أخمدت ... لغة الأوكين  
تقرع طبول القادمين من رحم سؤال جريح .. الباحثين عن متسع للحلم المنفي في  
مملكة الأجوبة المرة .

ألوان تكشف صاحبها .. تفتح نوافذ مشرقة لأمان متبخرة .. وأحلام طالتها  
الأبادي وجعلتها اندثارا .. تحاول الخطى المستترة تجميع شتات ما تكسر ...

وترسي القوافل على رمال السّواحل تتجلى أمر غليان هادئ .. ينبع من  
سهيل الأزمنة الغابرة .. بلغة المتمردين الأوائل ... نوثق أعمدة خيامنا ..  
وننطلق في اكتشاف بعض معالم مدينة تبعث من الجذور لتحاكي المعاصرة ...  
صيغت بآليات إبداعية لها نكهتها ومميزاتها الخاصة بها .. لما تحمله من تناسق  
.. جعل منها مصدر انبهار وإعجاب بنبيّ يتنضج المخيال الجمالي عند مؤثثها ...

## \* نصوص على الألوان :

إنّ ما يزرخ به التّراث العربي في الاداب والفنون تعجز الأقلام عن نقله  
والعين عن الإلمام به فلا غرابة أن يعود فنانون للنّيش في الدفّاتر الأولى للموروث  
الأدبي والفني ومحاولة الخروج به لفضاءات معاصرة . ولأنّ الفنون تتلاقح من

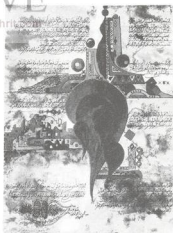
بعضها البعض نرى من الممكن لمخيالية الرسّام أن تؤسّس لنص أدبي .. ويمكن للحن موسيقي أن يحرك سواكن الشّعـر . والعكس يصحّ كذلك . حسب رأينا على الأقل ... ومن هذا المنطلق طالعنا تجربة تشكيليّة فيها من الوعي الشّقافي والحضاري ما جعل منها مصدرا للإعجاب ... لما تحمله من إحياءات ورموز متماسكة شكلا ومضمونا ومتفاعلة مع مكونات الأصالة ومقومات المعاصرة .. تجربة صاغت ريشة الرسّام محمود قفصيّة نابغة من أدب الشطار والعيارين العرب هذا الأدب الذي أنتجت فئة من الصّعاليك والسطار والعيارين واللصوص وأشباههم من المعدمين والفقراء والعاطلين عن العمل وكتبت حولهم عديد الدراسات والبحوث .. وهو أدب من فئة منبوذة اجتماعياً تعيش على هامش الحياة ... حاول محمود قفصيّة توثيقه على لوحاته .. بتقنيات تجمع بين التّراث والمعاصرة .. لتبسّط فكرياً تشكيليّاً خاصاً ...

### \* تناسق الألوان والهدوء الصارخ :

اعتماد محمود قفصيّة على الألوان الهادئة .. وافقته مضامين صارخة .. في تناسق جعل من لوحاته قضاء للجمال والأنهار .. لما تحمله من تناسق هندسي نادرا ما توفّر في أعمال أخرى ... وإنّه يذكّرنا بالتجارب العراقيّة والمصريّة .. التي وفّقت في استثمار الخط العربي كروية جماليّة وتعبيريّة .. بأشكال تجريدية ... لهذا جاءت أعماله انفتاحا على منجزات الفن التشكيلي العربي .. ومتناغمة مع منجزات الفن العالمي المعاصر .. لهذا نكون سعداء عندما تعترضنا مثل هذه الأعمال المتمسّكة بذاتها والمتفتّحة على الآخر دون أن تمارس الغربة والتقليد البغائي لهذا الآخر .

### \* الحرف جماليّة وتعبير :

ما يحضى به الخط العربي من جماليّة تترجمه الإبداعات التي مازالت خالدة سواء كنقوش وحفريات على الجدران والمساجد أو في لوحات ستبقي ما بقي للجمال عشاق ... ويكفي أن نشير إلى أعمال الفنّان العالمي (ماتيس) .





هذا الجانب الجمالي للحرف يتضاعف حضوره المبهر حين يبسط بذهنيّة واعية .. ومخياليّة عميقة .. فالخط عند محمود قفصيّة يتجاوز البسط الجمالي لما هو تعبيري .. فهو عبارة عن أشكال دائمة الحركة ... متعدّدة الإحياءات .. متناغمة مع باقي العناصر المكوّنة للأثر .. وهي من المعادلات الصعبة بالنسبة للمتعاملين مع الخط العربي كأداة جماليّة وتعبيريّة في الآن نفسه وبنفس الدرجة .

### من الذاكرة :

هو عنوان الثلاثين لوحة وجدنا فيها جديّة البحث عن الإضافة .. بلغة جماليّة .. لها فكرها التشكيلي الخاص بها .. ومنايعها التي تتغذّى منها .. فكانت محاوره للجذور .. راوية للمعاصرة .. متناغمة في ما بينها .. بكيفيّة تجعل كلّ لوحة مكملّة للأخرى .. في إطار (بحث تشكيلي وتوثيقي في نفس الوقت ) والكلام للرّسّام / المبدع هنا مضافاً بأنّها لوحات للعرض فقط . وقبل مجيئها للعاصمة تمّ عرضها بكل من : المركز الثقافي الجامعي يحيى بن عمر بسوسة والمركز الثقافي الجامعي بالمنستير ، ودار الثقافة حمّام سوسة ، ودار الثقافة قصر هلال ، وقاعة ايباسين بالمربى ، ودار الثقافة بالمعاريض ابن خلدون ، تونس ، وتعرض طيلة شهر التراث بكل من سوسة والمنستير في انتظار أن تحتضنها مجدّداً إحدى قاعات العاصمة .

### \* قبل الختام :

عديد الأسماء التي سبق وقدمنا أعمالها تواصل نحت مسيرتها الإبداعية وتقديم تجاربها بفضاءات العاصمة وداخل الجمهورية . رجاء التفتوتي محمد بوليس ، شعبان الملبّتي ، بشير الدزيري ، بسمّة بن يحيى الخ ... ولم نسهو عن معارضهم المتتالية .. ونتمنّى لهم مزيداً من الإشعاع والتألق وإلى مصافحات قادمة ...

# عندما يأفل نجم

شعر : الصحبي العلوي

محطمة كدروب السماء

هي الأمنيات

ومقلولة كجيوش علي

هي الكلمات

فكيف نصدق موتك ؟

وقد كنت للشعر ماء

يطررُ شذو الرباض

على الشرفات

لماذا دمشق

على حافة الأغنيات ؟

لماذا كيوسف كنت سجيناً ؟

وشبابة النهر تُرسل أنغامك

من وراء الحدود صدى

أيا بردي

أين يسير بك العابرون

إذا غاب عنك حادي الحداة

ورب الغناء ؟

\*\*\*

أين تكونين عند الغروب

أيا أمة تكلت مرتين ؟

أنتنظرين انحداره

من قمة رضى ؟

أم تطوف بك الجنة  
بين القبائل تستنصرين  
الحلافة والياسمين  
وسيف الجهاد  
وتذكرة من حدود الرياح  
إلى كربلاء  
\* \* \* \*

لماذا العيون مذبوغة  
بصهيل الخيول الخفي  
شذا وندى ؟  
تري نكستها روائح عطر مواكبك  
يا أفضل العشق  
لماذا جميع المراثي رموشا ؟  
لماذا جيوش المعزّين دروا نساء ؟  
أين أمير العساكر ليقبل فيك  
وإن سقط شارباه - الغزاه ؟  
أين أبواب المدينة كي تعود ؟  
أين أسوار المساجد كي تؤذن للسّماء ؟  
\* \* \* \*

مشلولة كدروب المدينة  
هي الخطوات  
ومكدودة كعصافير الربيع  
هي النّانحات  
فكيف نواريك بالتّرب ؟  
ولم يأت بعد غراب  
ليبحث في الأرض

يا سيّد الكلمات  
لماذا تذاق أخبار موتك في كلّ دار  
وما زال طارق يحرق باقي السفن  
ويرسل تحت سحاب المراكب  
شوقاً ونار  
لِمَ لا تُوجَلْ دفنك يا عنتره  
نقاتل تحت لواء أمنيّاتك خداعاً  
فالغرب مكر ودفنك عار  
وموتك في الأفق اللّندنيّ  
بعيدا عن سوسنات دمشق  
كان القرار  
\* \* \* \*



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

من يقبل فيك العزاء ؟  
وقد شفّ عنك الرّثاء  
جلال وطرب  
يا شيخ أشعار الفصول  
سُكبت دواتك وانتشى  
فوق برّذاك القصب  
من يقرأ الآن ... ؟  
من يعجم هذي الحروف ؟  
فموتك ألغى جميع الحروب والأمنيّات  
والخيل واللّيل والسّكرات  
من يدوّن أخبار قرطبة الحسن والذكريات  
والحان غرناطة القبيلات ؟  
من ينسج من صفائر شهرزاد المدائن  
عظورا لأسواق بيروت الجديدة ؟

من ينظم الأمنيات ؟

\*\*\*

أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَسْجِيُّ

وداعا

من دمشقك

من ثرىات الكتانس

من منارت المرافئ

سلاما

من محاريب المساجد

وحميات العرائس

وداعا

من هتافات المخيم

لك وحدك

وداعا

من رصاصات الجنوب

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

تحميل للأعداء جرحك

وداعا

من فتيات المدارس

يتغزكن بشعرك

وداعا من بعلبك

أَيُّهَا الرِّكْبُضُ فَوْقَ شَفَاهِ الْعَاشِقِينَ

وداعا أَيُّهَا الْقَمَرُ السَّرِيعُ

من سماء لم تملك

1998/4/30

## بَابُ الْمَلِكِ وَالْغَرَابِ

شعر : عبيد الحميد خفيف - تونس

.....مَلِكٌ أَمْرٌ غَرَابٌ.....  
.....مَطَرٌ...أَمْرٌ...سَرَابٌ.....  
.....ظَاهِرٌ.....  
.....يَسْتَبِيحُ الْغِيَابُ.....  
.....وَاقِفٌ.....  
.....بَيْنَ مَاءٍ.....وَنَارٍ.....  
.....وَمَا بَيْنَ يَوْمٍ.....  
.....وَلَيْلَةٍ.....  
.....وَمَا بَيْنَ ضَوْءٍ.....  
.....تَسْلُلُ مِنَ فُجُوتِ السَّحَابِ.....  
.....يَمْدُودًا نَحْوَ بَابِ السَّمَاءِ.....  
.....وَسَاقَا نَمَتْ نَخْلَةٌ فِي الشَّرَابِ.....  
.....  
.....مَوْلَانَا هَذَا اسْتَرَحُوتَ.....  
.....فَكَدَّ الْمَوَالِي اسْتَرَا حُوا.....  
.....وَعَادَ الْمُرِيدُونَ يَوْمًا وَرَا حُوا.....  
.....إِلَّاكَ مَوْلَانَا.....  
.....مَا زِلْتَ فِي لَيْلَةِ الْعَاشِقِينَ.....  
.....عَلَى قَدَمٍ رَاقِصًا مِنْ سِنِينَ.....  
.....رَخَامٌ سَمَرٌ قَنْدٌ وَالْيَاسَمِينَ.....  
.....وَخَيْطٌ نَدَى مِنْ رَحِيقِ الْعَذَارَى.....  
.....تَنَادِيكَ مَوْلَانَا.....

.....أَخْلَعَ جَبِينَكَ.....  
 .....وَأَرْفَعَ كِتَابَ الْيَمِينِ.....  
 .....فَهَذِهِ خِيَمَتُنَا قَائِمَةٌ.....  
 .....وَهَذِهِ جَنَّتُنَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا.....  
 .....فَهِيَ اسْتَرْحُ شَامَةٌ.....  
 .....فَوْقَ خَلْدِ الْجَمِيلِ.....  
 .....وَهِيَ اسْتَبِيحَ مَا تُرِيدُ.....  
 .....وَهِيَ افْتَتِيحَ لِلْمُرِيدِ السَّبِيلَ.....  
 .....فَإِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسَ عَرْضًا.....  
 .....وَلَنْ تَبْلُغَ اللَّيْلَ طَوْلًا.....

بَكَى قَمَرٌ هَرَبْتُ بِهِ الرِّيحَ.....  
 رَوَى شَجَرًا ظَلَّ خِيَمَتَهُ.....  
 وَالْجَنَّةَ.....  
<http://Archbluebeta.Sakhril.com>

.....رَعَى الْمُؤَلَّى مَا لَمْ يَرَاهُ النَّدَامَى.....  
 .....رَمَى كَأْسَهُ وَاسْتَقَامَا.....  
 .....مَشَى.....  
 .....دَثَّرَتْهُ.....  
 .....الْغَمَامَةُ.....

## « بتراء »

شعر : اسماعيل الوريث  
صنعا - اليمن

فجأة تشهد الحلم أسطورة علقت في الجبال  
دهشة من تذكر ما قد مضى  
تنسب بالصخر، تفتح أزرارها لرياح الزمان العواتي  
تمثل فيها المكان شجي  
سجنا يتربع فوق المحال  
\*\*\*

أمتطي مهربي  
داخلا في متاهاتها الساحرات  
<http://Archivebeta.Sakhril.com>  
نضيق الطريق تضيق  
ليتسع الشوق  
ينفرج الدرب عن ساحة للفتون ،  
يحوطها عدم كالوجود  
يفوح شذاها المعطر بالزهو ،  
حيث الملوك الأوكن يتروا المجد واستوطنوه  
نأى بهم الخوف عن باطن الأرض  
فافترشوا الصخر مثل النسور ،  
توججهم لوعة



وتفيض بهم غربة

نقشوا في الجبال معالم رحلتهم

حفروا بالتوجع أسماءهم

ثم ذابوا عظاما ولحما مع الصخر

ذابوا ليصبح للصخر لون تذكّركم

وتضجّ ملامحهم في الجبال التي وردتها دماؤهم المشرّعه

لليمانيين غريبتهم وحدهم

فهي الزكاد والماء

في كلّ آونة ينفجر سدّ بأهاتهم

فالترحّل بعض مواجدهم

تركوا في الطريق إليها سمات توهجهم

خانهم رمل مأرب والأقربون

فكان الصعود إلى العقبات يخفّف أحزانهم

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

عبروا

إنّما في الطريق الطويل بقايا مناحاتهم

ووشاحات أعراسهم

وشذى الغربة المرّ ينشر أيامهم

قصّة في الفيافي البعيدة

والطرق المنتقاة

\*\*\*

أدخل الآن "بتراء" ملتحقا ظلّهم

كلّما التحمت مهرتي بهواجسها ، والبيوت نجوم معلقة

أتذكّر أنّي رحلت إليها ويرجعني زمّني للزمان المحلّق فوق ربّاه

لماذا يغرد قلبي كعصفورة في الربيع ؟  
لماذا أحس امتداد الصّخور ارتعاشا بكلّ كياني ؟  
لماذا يمرهنّي خدر لاهب فأضمّ جوانبها نحو صدري وأبكي  
لماذا ؟

أعرف الدّير  
كانت طقوسي تقام هنا  
وعلى شرفة الدّير سدة ملكي  
إذا سرت في سرب خيل تميل الجبال الرّوآسي  
وفي كلّ ناحية من شماريخها صولتي  
أتذكّر

نمت هنا  
وصحوت هنا  
وشربت على صوت جارية طفلة  
وحشدت الجيوش هنا  
أتذكّر ،

إنّي رجعت إلى عالم حافل بالأسى  
بهجة لا يفارقها الدمع  
« بتراء » تسكنني وطننا  
وتسافر في تعبني  
وكما صرت في فمها صرخة  
لبستني  
فصارت أنا .

## في منزل الحلاج

شعر : حازم العاصي

العراق

تجبي نار  
للضوء مُستقر  
وعند كل حائط وحائط  
نبي  
وشاعر صوفي  
وقيل « أن كلهم غبي »  
يقتل شارب كل عام  
يرفع صخريتين كي ينام  
3 - في منزل الحلاج  
أنبياء  
يحكون عن مدينة عتيقة  
أميرها  
يمر ليلا  
قرب حانة الغجر  
ليملأ الإناء  
4 - في منزل الحلاج  
بعض ربح  
تدخل وقت الحرب

1 - في منزل الحلاج  
يكون كل الناس من زجاج  
وبين كل ثعلب وثعلب  
دجاجة  
وهكذا توزع الدجاج  
2 - في منزل الحلاج  
آه  
يجي صوت  
ويفتح التنين فاه  
وتخرج الجبال  
كأنما ثبت في عروقها الحياه  
تجبي نار  
توقد من أصابع الشجر  
قلوبها حجر  
توضأت بأدمع المسيح  
وماتبقى من دم الحسين  
وبين بين  
بيرز (عبدالشط ) للصغار

تستريح

وقبل أن تغفوا معي

اغفوا، الدُّبُوك

تلبسني خطيئة الملوك

5 - في منزل الحلاج

- وهو منزل تسكنه الطحالب -

مصاحف

لصبية

أحرقها القراطة

وداسها الزنوج

والعلوج

والنواصب

6 - في منزل الحلاج

قبرة

ومقبرة

وبومة كجدة سالحة نبيه

وربما غيبه/ تنبأت بالمجزره

7 - في منزل الحلاج

سامري

يعمد الصغار بالتهيد

ويوعد العجائز المحتظه

بحقنة منشطه

وخنجر لذيذ

8 - في منزل الحلاج

باب

افتحه

لآخر الصحاب

السيد الهوا

9 - في منزل الحلاج

يدخلون

يلقون في البئر الذي حفرته

صغارهم

ويخرجون...

10 في منزل الحلاج

((نون))

آخر حرف

كان في قافلة الجنون

11 - في منزل الحلاج

عنكبوت

وطائر يموت

وآية من سورة السكوت .

ARCHIVE  
http://archive-beta.Sakhrit.com

## - جنونية في سواكن عاشق -

أرفع ناظري إلى السماء ..  
أرى في صدفة عينيك كل الصفاء ..  
أنام على رموش مقلتيك حتى الغناء ..  
أرتفع مع هبوب أول نسمة فأنسى الشقاء ..  
وأهنا في السولوج إلى وجهك الوضاء  
أيتها الآتية من وراء كوكب النجوم العاشقة  
أيتها الحاملة لبوصلتي حين تهزني العاصفة  
أجرت على مركبتي حملاً مجتلباً للأيام الآتية  
رسمتك أمامي ..  
حملتك أسوار الدنيا أحاطة ..  
أطير بك عصفورة إلى الأشجار الوارفة  
واسمعك وصلات من أبحر العاشقين  
تتميلين عالمي ..  
تتميلين على أهديني نجماً ..  
فتريدني إلهاماً وتفاؤلاً ..  
أيتها العاشقة بوجعي وشقاء صباحاتي الباكية

- جلال باباي -

## المجانين

بقلم : شكري الشامي

قال أبو الفتح الساساني : حدثني رجل من أعراب مصر قال :ومن عجيب ما رأيته في حياتي قرية زرتها منذ أيام . دخلتها فخبيل إلى أنني في حلم بل في كابوس مريع . وصلت في مطلع الفجر ولم يكن فجرا بل كان نورا موجعا ودخلت أرضا لكأنها وحل فيه فحم وأحسست بأجسام غريب وعجيب وانتابني الخوف واليأس فقبعت كالعيس في البداء يقتلها الضمأ ورحت أتأمل من حولي لكأنني في مكان لا يمت بصلته إلى هذا العالم السفلي . ولما كنت في هذه الحالة من الدهشة إذ تراءى لي أعرابي يلوح لي من بعيد فسعدت منه أسأل حاجته ولما وصل إلي ارتقى يديه على رقبتي وراح يبصق على وجهي من غير انقطاع وكلما هممت بالتملص والفرار شدد الخناق عليّ وأكثر البصاق في عيني وفي أنفي . ضقت ذرعا بهذا العمل المشين والغريب فرفعت ركبتي قليلا وضرته على خصيته فصاح عاليا وسقط على الأرض ومع ذلك ما انفك يبصق على التراب ويبكي .

هممت بالفرار أطلب وسط القرية وقد لاحت الشمس مكتملة لكأن نورها سباط موجعة وقلت في نفسي ... ما أبشع النور حينما يكون موجعا وما أوجع الأمل حينما لا يستحيل بلسما وأي مكان هذا بلوح بانطفاء النور والأمل وأي مكان هذا يوم الهدوء فيه والسكينة بالأم مبرحة ؟ لاحت لي من بعيد بقايا خضر وغلغل فانطلقت نحوها لأنظر في السوق وأحوال التجارة فيه فاعترضني شيخ مسن

فحبّاني ويصق في وجهي فحبّيته ولم أفعل فعلته فعاد إليّ ثانية ولطمني على وجهي وقال لي : أنت قليل أدب . كنت كلّما خطوت خطوة ازدادت عجباً وغربة في هذا المكان العجيب الغريب ، ومّا زاد في عجبي وغرّبتني أنّني لمادخلت سوق تجارتهم رأيتهم يتبادلون حاجاتهم ثمّ يردفونها ببصاق متبادل على الوجه ثمّ يروّون لحالهم .

خرجت من السّوق وأنا أفكّر في حال هذه القرية ودخلت زقاقاً ضيقاً فيه آثار البصاق من هنا وهناك وفجأة اقترب إلى أذني صوت معلّم يدرّس صبية القرية . اتخذت ركناً ضيقاً ورحت أتابع مراحل ما يقول ، كان كلّما أحسّ أنّ فتية لم يفهموا قوله ضحك عالياً ملء شذقيه ومتى أدرك أنّ كلامه وصل إلى أذنيهم بصق في وجوههم إجلالاً وتعظيماً لهم فيردّون عليه بنفس تحيته إكراماً لمجهوده الجبّار من أجلهم .

انتفضت كالمدعور وأنا أقول في نفسي : تفلّح الأشياء على غير مجراها فتصبح عادة حميدة ويستحيل المنطق عبثاً ليصبح أمراً عجباً . ما أخبت الأمور حينما تفقد جوهر وجودها وما أفضع الطبايع حينما تفقد علّة تواصلها وما أقيح القبح حينما يتورّم ليصبح شبيهاً بالداء .

دُعرت كالمجنون لما سمعت منادياً ينادي بأعلى صوته أن اجتمعوا في السّاحة الخضراء لأمر جليل وعسير بلهجة فيها التوعّد والإنذار . رُحّت أبحت عن المكان المقصود حتّى أدركته بعد الضّنى فوجدت حشوداً تتدافع استقاموا أزواجاً يبصقون بصاقاً متبادلاً . وبينما أنا على هذه الحال إذ تقدّم منّي فتى من سنّي وأمسك بذراعي قوياً وشرع يبصق في وجهي وعلى أنفي فأدركت وقتها أنّ هذا الأمر لغة من لغاتهم فشرعت أبادله لغته إلى أن وقف كهل ضخم طالّت لحيته فبدا أشعث قبيحاً وقال بعد أن بصق على رؤوسنا : الكلمة الآن لسيد الأفضلين وأكرم الأكرمين .. معاذ البصاق .

اشرأبت الأعناق وساد السّاحة صمت رهيب فظهر معاذ سيّدهم شيخا وقورا  
 نظيفا اعتَمَ بعمامة صفراء مرتديا برنسا أبيض كالثلج . تجشأ وحرك لسانه في فمه  
 ويصق في وجوهنا فعمّت الزّغاريد والتّهاليل والأدعية تجذّه وتدعو له بالصّلاح  
 والعافية فشكرهم بالبصاق ثانية وقال : أبنا . قرية الحريا . أبعد عنكم كلّ داء .  
 وآمنكم من شرّ المصائب والبلاء . رغم أنّكم أبنا . زانيات وسفهاء . لقد طلبتكم في  
 هذه السّاحة شبيهة الواحة لأمر خطير وعسير وما كان عليّ أن أجتمع بكم لمعرفتي  
 بجهلكم وجبنكم وهل يقدر الجبناء على البناء وسط الثلج وهل يستطيع الباعوض  
 مثلكم أن يتباهى أمام العصافير المحلّقة في الفضاء البعيد وهل تنجح الخنايس  
 مثلكم أن تطمح فوق ما هي عليه من وضع طبيعيّ وهل يرتدي العشب النّديّ  
 غير المتطفّلين مثلكم من العناكب والضّفادع القذرة ولكن أقبل مصافحتي إيّاكم  
 لأمر في نفسي لا أريد أن أبوح به لكم لأنكم قوم لا تفقهون . ثمّ بصق في  
 وجوهنا ثانية فعمّت الزّغاريد والدّعوات وأغص على البعض منّا سمعت بعدها أنّهم  
 لم يتحمّلوا فرحة رؤيتهم لشيوخهم الفاضل فوقع ما وقع . مسكت بذراع أحدهم  
 وقلت له : هل أعجبك رأي سيّدكم ؟ فنظر إلى مليّا والصّرف فتعجّبت لأنّه لم  
 يبصق على وجهي وعلى أنفي . وبعد ساعة جاءني إثنان من الجند وقاداني إلى  
 السّجن وقبعت هناك سنتين كاملتين . عقدت الرّحيل إلى بلدي وأنا أفكّر .. ذنب  
 المذنبين فضيحة لأنّه من غير جرم والمذنبون الأبرياء أكثر جرما لأنّهم أغبياء فما  
 أكثر الغباء والجرم في هذه القرية . وصلت مضر مع مطلع الفجر ولم يكن فجر  
 لكأنّه ألسنة من نار وأحسست بوجع هذا الثّور يسري بين أضلعي إلى أن وصلت  
 بيتي فاعترضني والدي كعادته ليسألني عن حال التّجارة فضممته إلى صدري  
 وبصقت على وجهه وأنفه وأحسست بخطى أمي تقترب مني فرمقتها بنظرة حزينة  
 فارقت عليّ ترميني بالبصاق .

قال أبو الفرج السّاساني : رحم الله ذلك الرّجل العظيم أتانا بطبع عظيم فما علينا  
 نحن سادة القوم إلّا نشره بين القبائل الأخرى .



## لا تكن مثلهم... كن كغيرهم

بقلم : نجيب بركاتي

زرتة في بيته على قمة جبل تشرّب نحوه الأعناق ، وتتطلع له الأنظار تطلع أهل الغائب المنتظر فتكلّ تعباً ولا تظفر بغير كتلة من السواد القاتم يترأى عن بعد يحسبه الرائي وحشاً كاسراً أو شبحاً أسطورياً من أساطير الأوّلين كنت أتعجب من الطلاء الأسود الذي طلي به منزله وكنت أحتار في فنّ عمارته البديع ويبلغ بي الإعجاب مبلغه حتّى أنّني أعجز عن سؤاله كيف ومتى وبما بني منزله ، وكنت فيما مضى من الزمن أجلس مع كبار الحيّ ممن رحل عن الدنّيا فيقول لي بعضهم ذاك المنزل لغز الألغاز هو لرجل يدعى "ميلاد " لا ينزل الحيّ إلّا متى تغرب الشمس ، لا يكلم إلّا الصغار أو المجانين وكان لا يلقى الواحد منّا إلّا لاحتاج موجهه وينظر بعين كأنها عين شيطان ثمّ يقول همسا كصوت العذراء وقد لفّها الحياء " مساكين والله مساكين " أمّا أنا يا سادتي فكنت لا ألقاه إلّا أمطرني بوابل من الألغاز يعجز دون فهمها اللبيب ثمّ لا يلبث أن يكثّر في وجهي قائلاً : غبي أنت يا هذا إنك لبلبد الفهم تروم اليسر وتحبّذه وتنفر من العسر فاعمال العقل . أغرب عن وجهي قبّحك الله لا خير في إنسي يرتاد المصاعب ثم لا يعتبر بما في الرحلة من قداسة التجربة ، ثمّ ينتحي ركناً قصياً في المنزل ينظر في أوراق وسجلات صفراء قديمة يقيم خطوطها معوجة ويعوّج خطوطاً يحسبها الرائي مستقيمة وما هي كذلك ، كنت عندما أسأله ماذا تفعل ؟ يرتعد ويتصبّب عرقاً ويتطير الشرّ من عينيه فكأنه الشيطان لبس زيّ آدم . فأتعجب من أمره وأعقد حاجبي فتشقد ثورته ثمّ يهدأ هدوءاً محبباً ساكناً كأنه

البحر استكان بعد عاصفة هوجاء لم تبقى ولم تذر ويقول : ما أغباك  
رجلا إنك لاتفهمني ألا سحقا لك ولغياثك يا أحقر من بعوضة لقد  
كدت تفسد عليّ خلوتي فكنت أضحك من كلامه حتى تنتفخ مني  
الأوداج ويجمد ماء الحياء فأصبح في ميوعة الغواني فتتغير سحته  
ويهم بي ثم يتراجع إلى الوراء ثم لا يلبث أن يتقدم ويمسكتني من  
تلابيبي قائلا : سأرمي بك في البئر وأقسم أنه كاد يفعلها يوما لو لا  
أن بكيت وانتحيت وقبّلت رجله فيقول أي حبيبي إنك لا تنهض من  
سباتك أو ألقىك في البئر فكرر يا هذا ويضع يده على موضع القلب  
ويقول هنا داؤك ودواؤك هذا أخبت ما فيك إذا خبت وأحسن ما فيك  
إذا حسن .

لا أعرف ماذا فعل بي حتى صار كلامه الغامض يجد في قلبي  
مكمن . صرت أنكبد مشاق السير لأصل حضرته ، سدّ عليّ كلّ المنافذ  
ولم تبق إلا الطرق المسغبة فكنت أحمل بشق الأنفس يتصبّب مني  
العرق والدم ينزف من راحتي ورجلي فيلتقاني بوجه كأنه البدر نورا  
ويضع بين يدي من ألوان الطعام ماتكل دون رؤيته العين فأهم به في  
لهفة ذي المسغبة فلا يلبث أن يحرمني منه قائلا : ما أغباك لا تكن  
قويًا صديدا أو تترك لذة الطعام وأنت من الجوع تكاد تهلك اصبر على  
الزقوم تطعمه وأنت من المسغبة في سكرات الموت فأقول ارحمني إنني  
ماتكبدت المشاق إلا حبًا فيك فيقول لا يكون الحب حبًا أو تفنى في ذات  
المحبوب فيعاودني حينها ما كنت ألقاه به من تهكم وسخرية فيهم أن  
يلقيني في البئر قائلا : يا خيبة المسعى سأسدّ عنك كلّ المنافذ غدالن  
تلقاني في مكاني هذا . أغرب عن وجهي فأتمسّح على أعتابه ويعفو  
عني فأعود إلى سالف عهد الطيش والغباوة وقد فعلها يوما نعم فعلها  
ألقاني في بئر المهجورة في يوم شديد برده وقال لي لا أخرجك من  
سجنك إلا متى صرت أهلا لرفقتنا ، وما وجدته في البئر يا رفقتي ، ما

وجدته أسكرني لذّة وعشقا وهياما حتّى أنثي كرهت حياتي خارجه  
وتقيت أن أبقى العمر كلّ داخله ، في البئر غرف عديدة بل عالم غير  
عالمنا ليسوا كالأناس هناك الأعرج والأبرص والكسيع . في البئر  
عالم غريب عجيب كلّ أناسه من العرجى والعُميان لهم أمير ما  
وقعت العين على أجمل منه صورة لو لا أنّه ميتور اليدين . قال  
لي أحدهم ذاك كان نهاية سراق أرواح كمّ قتل بيديه ونهب وعندما  
جاء إلى هنا عوض بنور البصيرة عن عماها وأصبح أحكم الحكماء .  
لذلك نصبوه أميرهم أمّا أنت فقد علمنا أنّك أعمى البصيرة وستبقى  
بين ظهرانينا تخدمنا . تقوم بالشّاق من الأعمال وها أنّك ترى البئر  
التي كانت ترعبك جنة في غرفها العديدة وحسن تزويقها وكلّ أناسها  
من الموقنين أمّا أنتم الأصحاء فسحقا لكم ولغيانكم وغروركم .

بقيت بين ظهرائهم أخدمهم سنة حتى جاني يوما ، عانقني يا  
سادتي ، باركني ، كلّمني وهدّ لي ذراعه وقال لي : الفقراء ، ألبسوك  
تاجهم ، وسقاهم الطريق والبرص والعيمان والرقيق وقال لي إياك  
.. وأغلق الشباك \*..وها أنني الآن أقف قرب جسده المسجّى في  
البياض ، إنني أنظر إلى بنيته فما كان يتراءى لي سوادا قائما يظهر  
لي الآن بياضا ناصعا . كنت أنظر إلى الجسد المسجّى في البياض  
وأنا أسترجع كلامه : سيبقى التعيس تعبسا كلّهم ينظرون إلى  
بناتي سوادا قائما ، وأنت سراها يوما في نصاعة الثلج وهي كذلك  
مذ بنيتها لكن عمى البصيرة ما بعده عمى ، لأعلمنك المشي  
على الأشواك أو تكن أتعس منهم لا تكن مثلهم يا حبيبي كن  
غيرهم ، كن غيرهم ...

\* مقطع من قصيد : الصليب للشاعر عبدالوهاب البياتي .

لها في العدد القادم إذا اشتغلت على نصوصها وشذبتها من الزوائد وأصلحت أخطاءها لأنَّ الكاتب يجب أن يكون دارساً للغة ، عالماً بأسرارها ومثقفاً بامتياز حتى يبدع في مجال كتابته ... أما هنده محمد فقد أبتغ الشجن في نصّها الرانع وتأثرها بمادة الفلسفة التي جعلت في نصّها شاعراً واتساعاً يليق بالكتابة الأدبية . وننشر أيضاً في هذا العدد خاطرة أو فقرة من خاطرة لندى الوسلاتي ونقول لها بصدق إنّه يتعدّر علينا نشر البقية لرداءة الخط وكثرة الأخطاء ...

أما حنان النوري فائنّا نشجعها علي ومضاتها الشعرية وننصحها بمزيد الإطلاع على تجارب أخرى ... ولنجاة الورفلي كراس من الشعر أو دفتر سجلت فيه تجارب مليئة بالقلق والأحزان وهي تدلّ على عشقها للكتابة وإيمانها بأنّ القلم والقرطاس هما أجمل صديقين في هذا الزمن . وننشر لها قصيدة قصيرة في هذا العدد لنعدها بنشر قصائد أخرى من كناشتها في أعداد قادمة ...

وإلى الأمام ... وللكلمة الصادقة الخلود والبقاء ... إعداده : م . ع . ط



بقلم : عربية الدبغي

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

كان ضوء القمر يسبح منساباً على سطح البحر وكانت الأمواج تعانق الشاطئ وتحكي له حكاية قيس بن الملوّح وليلى العامرية وكانت النجوم تطلّ كالعرائس . من خدورها وكانت الأرض في ذلك الوقت تتهادى في ثوبها السندسي ...

كان المشهد عظيمًا ورائعًا كعظمة وروعة الحب .. هناك كنّا نستمع إلى حديث الأمواج والقمر يغمرنا بلحافه الفضّي ... كنّا نتحدّث تارة وطورا نداعب الأمواج .. كانت لحظات كأروع ما تكون اللحظات ... لحظات انبثقت فيها الشعور الصادق ، الشعور الطاهر النبيل ... كان يتعمّد النظر إليّ وكنت في لحظات ليست كاللحظات ... كنت أجد نفسي بين ذراعيه فأشعر بشعيرية مستحبة وأحاول أن أتخلص من ذراعيه فأتوارى عنه بوجهي فيمدّ يده إلى وجهي ويلفتني إليه رافعا خصلات شعري .. لطالما تمنّيت أن أرتقي بين أحضانه وأقول له أحبك بشورة البراكين وتهاليل الأمواج ... أحبك بعظمة البحر ... أحبك بصفاء الأفق

... أحبك كثيرا وبكلّ جوارحي حبيبي ... كنت أتمنى أن أقول له أنني أحبه ولن نفرقنا أية قوة في الأرض مهما كانت شدتها ... ها هي أمنيتي تتحقق .. وها أني بجانب حبيبي ، على الشاطئ أجلس إلى جانبه ... ها أني أعترف له بكلّ ما في قلبي ... لقد أزحت هذا الشغل عن قلبي .. لقد جلست وإياه سويا إلى البحر .. جلسنا ننظر إلى الطبيعة بكلّ ما فيها .. ننظر إلى البدر لانحنا من عليائه كأنه يحميننا ، وننظر إلى الأمواج وهي ترقص كأنها تشاركني فرحتي .. في تلك اللحظة سمعت صوت أمي يردّد : انهضي يا بنيّتي.. لقد حان الوقت ! فقمّت ووجدت نفسي وحيدة في غرفتي بين دفاتري وألواحي .. وجدت أحلامي تحلق في الأفق وتفرّ مني هاربة إلى أماكن أخرى ...

أغمضت عيني ووددت أن يعود نومي لأعود إلى نشوتي .. إلى فرحتي .. إلى حلمي الجميل الذي اعتقدت أنني لقيته بعد أن كان ضائعا وسرعان ما تعود بي الحقيقة إلى واقع أنتم عليه .. فأتمنى لو كانت الحياة كلها نوما وأحلاما لا تقطعها اليقظة ولا تلبها الأحزان ..

غادرت غرفتي واتجهت نحو البحر باحثة عن الأمان الضائعة في متاهات الزمن .. باحثة عن حلمي ولكنتي لم أجد شيئا .. لقد تبخّر حلمي .. وغابت الأمواج الهادئة .. غاب البدر .. غابت النجوم التي كانت تظهر من خلف السحاب كالحسنات من وراء النقاب .. و .. غاب حبيبي .. ولم أجد غير بحر تكلمت فيه أحزاني وامتزجت فيه دموعي بأمواجه .. وجدت الغيوم والعواصف مدوية .. ووجدت أحلامي تبخّرت ..

فما أعمق مأساتي !.. لقد فقدت حلمي وأصبحت عاشقة المأساة.. فعفوا .. عفوا أيتها السعادة لن أترقبك لقد عشقت دموعي الملهية في عيني وعشقت مأساتي وسوف أنساك أيتها السعادة لأنني لم أعد في حاجة إليك !! .

## عندما يضيق الكون

بقلم : ربح الدريدي

... استيقظت كعادتها مع انبلاج أول خيط أبيض للفجر وتلملت في فراشها وحكّت عينيها وترنّمت بصوت مملوء بعبرات الحزن :  
ربّاه إلى متى سأستمرّ على هذه الحال لقد مضى عقدان من عمري وأنا على هذه الحالة رغم سعيي لتغيير الأوضاع لكن عبثا حاولت ..! لقد مللت القيام في مثل هذا الوقت وتحجرت من المكوث في هذه القرية وحالي لم تتغيّر .. رحمتك يا رب .. لقد هدّنتي خدمة الحقول وسرى البرد في جسدي كسريان الماء في الجداول ..  
وسرعان ما استدركت : أعوذ بالله ما الذي جعلني أتفوّ بهذا الكلام في مثل هذا الوقت ، فدوام الحال من المحال وقد آمنت الآن بقدري خير إيمان وليس عليّ أكثر من العمل وطلب معونة الله .

ونظرت من شق باب الكوخ وأردفت تقول : ربّاه لقد سُرّق منّي الوقت !  
وبينما هي على تلك الحال طرق سمعها صوت : صفيّة اسرعي سوف نتأخّر .  
نهضت مذعورة وارتدت معطفاً بال لا يكاد يصدّق شلّتها من البرد وسارعت بارتداء خف تأكلت جوانبه وتقدّمت نحو المطبخ ووقفت حائرة .  
ماذا سأغدّي اليوم ! بل ماذا سأغذي الأطفال ؟! ليس لديّ غير قطع خبز مضى عليها يومان وبقايا حبّات زيتون لكن لا بأس على أن أسارع إليّ الحقل لكي أتسلم اليوم أولّ مقابل لمدة واحد وعشرين يوما ..  
انصرفت مسرعة نحو جارتها التي مكثت أمام باب الكوخ تنتظرها فحيّتها ثم استحثّتها على السّير للوصول مبكراً خوفاً من بطش العم سالم ...

## حديث الصّمت

بقلم : هندة محمد

لازلت لم أسأل نفسي بعدُ عمّا أريده ، أو عمّا تراني أبحث في مشاهاتي ضياعي الأبدى هذا؟! وهذه الأفكار المشتّتة ، وهذا الوجد المكتوم وهذه الدُمُوع التي تسترق لحظة إخفاق حتّى تطلق العنان .. لعلّي صدّقت أنّ الكثر في مكان ما

مثلما يحدث لأغبياء القرون الوسطى ولمجانين خرافات جدتي الجميلة . بلهاء !!  
 ماذا أريد .. لا أدري .. عمّا أبحث .. لا أدري .. ضائعة .. قسمة الضياع ..  
 أقصى درجات الدمار والفشل .. حينما تواجه الأنا لتسأل عن الأنا فلا تجد  
 الجواب ، بل قد يكون الجواب ذات فاشلة ، وسياسة مع الأنا فاشلة ، وأحلام فاشلة  
 وصمت فاشل .. أحسن الضياع يلتحفني من كلّ الزوايا ..  
 لست أدري عمّا أبحث ، أو عمّا تراني أريد .. الحب ؟؟؟ ممكن ، لكنني أكره  
 أن أضع حبلا في عنقي يكبل حريتي .. أنا أبحث عن السعادة ، أبحث عن وهم  
 استوطن برأسي منذ القدم .. ولذلك أجهل عمّا أبحث ، فأبحث عمّا أجهل ..  
 حسنا قد يكون الأمر كذلك ، قد أكون بالفعل أبحث عن الحب ، لأنني أحسن ، لا  
 بل أدرك أن الجزء الكبير من هذا الوهم لا يمكن أن يكون إلا هناك في ذاك العالم  
 الملاحكي المزهري ، لكنني أخشى من الشطر الآخر على سعادتي من الذوبان  
 والإضمحلال . أخشى أن تندثر أحلام الحرية والانطلاق ...  
 رغبة جامحة تملكني في الحرية ، في الطيران إلى آخر نقطة من هذا الأفق الكبير .

ARCHIVE  
 أحلام وأوهام  
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

بقلم : ندى الوسلاتي  
 عادت إلى عالمها الجميل . بعد أن ابتعدت عنه ردحا من الزمن رغم قصره .  
 احتارت من الألوان الطبيعية الأحمر والأبيض لتجعلهما وشاحا على عرش  
 أحلامها ، جعلت من دموع مآقيها حبّات زيتون ، تنمو وتنمو لتشفى سقم مرضها .  
 ارتوت من ينبوع الصدق ماء سلسبيلا ... مزقت رداء الزيف وخلعت عنها رداء  
 الجبن ، ترمدت ، ثارت في وجه القدر لتعلن رفضها المستمر . بعد أن كانت  
 تحتضر لاح عن بعد بصيص نور . كان محتجبا وراء السحب والغيوم . صدح  
 صوت من خلف الجبال عاليا شامخا ليحذرها من صعود القمة . تقهقرت خطواتها  
 بعد أن شعرت بقوة خارقة للعادة تردعها ردعا صارما عن وصولها إلى مبتغاه .  
 لكنّها حاولت إقناع نفسها ... لا بدّ لها من مواجهة كلّ الأصوات المتجهة  
 نحوها ، علّها تخذلها ...

## جنازة حبي

بقلم : حنان النوري

أصبحت حياتي بقايا حياة  
بعد رحيلك  
أصبحت أسمى حزنا لا حنانا  
غيرت كل شيء في بقايا حياتي ،  
أصدقائي ، قلبي ، عقلي ،  
أصبح الحزن صديقي ،  
قلبي اقتلعتة ورميته ...

مرت الأيام متسارعة  
تساقطت أوراق الزمن  
ورقة ، ورقة ، ورقه  
ذابلة ، صفراء .  
مضى الزمان  
بعد تساقط المطر  
دمعة ، دمعة  
دافئة غزيرة  
بعد رحيلك حبيبي  
على الخد ذرفت  
دما ليس ككل الدماء



<http://Archivebeta.Saklir.com>

أجبتسي

بقلم : نجاة الورفلي

رحلت إلى مكان بعيد  
ولم تسأل عن قلب ظلّ وحيدا  
سأسألك

موج البحر  
وصمت الصخر  
وطير الشجر